



الصوفية وموقفهم من السنة النبوية

إعداد

د/ عطية بن نوري بن محمد آل خلف الفقيه الشريف
أستاذ الحديث وعلومه بالكلية الجامعية
بمحافظة القنفذة فرع جامعة أم القرى

المجلد (٦٩) العدد (الأول) الجزء (الثاني) يناير / ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فهذا بحث بعنوان (**الصوفية وموقفهم من السنة النبوية**) وإليك بيان خطة البحث وهي كالتالي:

أولاً- المقدمة

ثانيًا- تمهيد وفيه بيان مختصر لمكانة السنة النبوية ، وأهمية لزومها ، وحذر الابتداع في دين الله تبارك وتعالى.

ثالثًا- الأبواب التي هي صلب البحث :

الباب الأول: الصوفية ونشأتها الأولى ، وفيه ثمانية فصول :

الفصل الأول : المراد بالصوفية

الفصل الثاني : نشأتها الأولى

الفصل الثالث : معتقدات الفكر الصوفي

الفصل الرابع : الفرق بين التصوف العملي والتصوف الإعتقادي

الفصل الخامس : علاقة الصوفية بالشيعة

الفصل السادس : الفرق بين الزهد والتصوف

الفصل السابع : مصطلحات الصوفية

الفصل الثامن : مصادر التلقي عند الصوفية

الباب الثاني : موقف الصوفية من السنة النبوية ، وفيه فصول :

الفصل الأول : موقف الصوفية من الصحابة

الفصل الثاني : موقف الصوفية من شرح السنة

الفصل الثالث : موقف الصوفية من إسناد الحديث

الفصل الرابع : صوفية أهل الحديث

الفصل الخامس : شبه الصوفية

الفصل السادس : موقف علماء السنة من التصوف

الخاتمة : وبها أهم التوصيات

الفهارس

فهرست المصادر

فهرست المواضيع

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، شرع لنا الدين القويم وهدانا صراطه المستقيم، أرسل إلينا خير رسله وأنزل عليه أفضل كتبه، وجعل شريعته كاملة لايعتريها نقص، ولا تشوبها زيادة، ولا يلحقها خلل أو بخس، والصلاة والسلام على النبي الأمين والرسول الكريم، وقائد الغر المحجلين، أكمل الله به الدين، وجعله حجة على الثقلين، وتركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك، من أطاعه واستن بسنته اهتدى، ومن حاد عن شِرعته ضل وغوى، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فإن من عنوان السعادة ، وعلامة الفوز : أن يوفق العبد للهداية ، وطاعة الله – تبارك وتعالى – على نور من الله ، فكم ممن يزعم الهدى والسير على أقوم خطى ، وهو في الحقيقة سائر نحو مهاوي الردى ، وزائغ عن الحق والهدى .

وحقٌّ على الله – تعالى – أن من جاهد نفسه وألجمها خطام الطريق المستقيم، وألزمها الهدى والنور المبين = أن يوفقه للسعادة ، ويبلغه ما شاء من الخير ومواطن العلو والريادة، وليس ذلك قاصرًا على الدنيا فحسب، بل إن ذلك العلو حاصل في الدنيا ، وفي الآخرة أمر مأمول ،وصاحبه بالمكرمات موصول.

وإن من سيئ الأمور وشرها : أن يقع العبد في شباك إبليس ، وغوائله التي لا منتهى لها ولا عاصم منها إلا بالله ﷻ والخطر كل الخطر أن يزين الشيطان للعبد عمله ، فيعمل العمل يظن أنه من مرضاة الله – تعالى– وهو من مساخطه، أعني بذلك الوقوع في **البدعة** وضلالها، ولقد حذر اللهُ –تعالى– ونبيُه ﷺ من هذا الشأن وهذا المسلك كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ فاطر: (٨)

وقال النبيﷺ :(**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**)[١]

والبدعة هي الإحداث في دين الله تبارك وتعالى والإتيان بشيء في دين الله وليس له مثال سابق، أو دليل من كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ ألا وإن من البدع التي استطار شرها، وعظم خطرها، **بدعة التصوف** هذه الضلالة التي بدأت في عصور مبكرة، على نوع من التعبد

[١] – صحيح البخاري (٣ / ٢٤١ح٢٦٩٧)صحيح مسلم (٥ / ١٣٢ح٤٥٨٩)

والتقشف في أمر الدنيا، ثم انحرفت الأمور ، وابتعد أقوام عن جيل الهدى، وشطت بهم الآراء الاجتهادية في العبادة، حتى وقعوا فيما يشبه الغلو الذي هو في أصله باب يصطاد الشيطان الداخل منه، فأنى يكون الخروج إلا من رحم الله ﷻ.

والجدير بالذكر أن كثيرًا من بدع الصوفية وشطحاتها وضلالاتها، بدأت من هفوات بعض العباد والنسَّاك الأوائل، من غير سوء قصد منهم، وهكذا البدع أول ما تنشأ من تجاوزات، وهفوات، وزلات، وغفلات يُتَسَاهَل فيها حتى تُستساغ، ثم تنمو وتتطور حتى تكون بدعاً وأصولاً ومناهج فى سبيل الضلالة والغواية.

... وقد حذر النبى - ﷺ- أصحابه من بعده من هذا، حينما أرشد أولئك النفر من الصحابة، وحذر الأمة كلها مما هموا به حين هموا بأن يتعمقوا فى العبادة، فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى)" [١].

وهذا بيان عظيم من الرسول - ﷺ- لأمته لئلا تقع فيما وقع فيها رهبان النصارى وعباد الأمم الهالكة.

وفى القرن الثانى وما بعده زادت البدع فى العبادات وغيرها لدى طائفة من العباد والنساك والجهلة، وأنكر عليهم السلف ذلك.

ثم اتسع نطاق البدع عند جهلة العباد، والسلف ما فتؤوا يحذرون من هذه البدع وأهلها.

فظهر بين بعض هؤلاء العباد والنساك العزوف عن طلب العلم الشرعى [٢] والحديث، كما فعل بشر الحافى وأبو سليمان الدارانى [٣]، وتركُ الزواج كما فعل مالك بن دينار ت(١٣١) [٤].

---

١ - صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب الترغيب فى النكاح، الحديث (٥٠٦٣) من فتح البارى ١٠٤/٩، صحيح مسلم (٤ / ١٢٩ ح٣٤٦٩)، وانظر أصول وتاريخ الفرق (١ / ٢٧) مصطفى محمد مصطفى .

٢- انظر تلبيس إبليس (١٦٣).

٣ - سير أعلام النبلاء(٤٧٢/١٠)، وتلبيس إبليس(٣٩٥).

٤ - حلية الأولياء(٢٦٩/٦-٢٨٥).

والعزلةُ ومصاحبةُ الكلابِ كما فعل مالك بن دينار كذلك.

وتغليب جانب الخوف في العبادة كما فعل عطاء السليمى ت (١٤٠).

وتكلم عبد الواحد بن زيد بمصطلحات وأحوال لم يعرفها السلف، فبالغ فى الكلام فى المحبة والشوق والأنس على نحو لم ترد به السنة، واتكأت عليه الصوفية المنحرفة فيما بعد.

وتكلمت رابعة العدوية ت (١٨٠هـ) بما يشبه الحلول).

ثم ظهرت المبالغة فى ترك الحديث وطلب العلم والعزوف عن الزواج وترك طلب المعاش من أمثال أبى سليمان الدارانى ت (٢٠٥) وبشر الحافى ت (٢٢٨).

وخاض المحاسبى ت (٢٤٣) فى علم الكلام وأخذه إياه عن ابن كلاَّب

وتكلم السرى السَّقطى ت (٢٥٣) فى مسألة (الحقائق والإشارات).

وجاء الجنيد وهو أول من لقب بشيخ الطريقة فى تاريخ التصوف ت(٢٩٧) وكان قليل الرواية للحديث، وطلب العلم أولاً ثم تركه، وأقبل على التأله والتعبد، وظهر على لسانه شئ من التفسير الصوفى الإشارى

وبالجملة، فإن ما سبق يمثل هفوات وزلات وشطحات من أناس صالحين فى الجملة، ولكنهم وقعوا فيها، إما عن جهل، أو تقليد، أو غفلة، أو اجتهاد غير صائب -يغفر الله لنا ولهم- لكنا يجب أن نحذر هفواتهم هذه، ونحذر منها لأنها مبتدعة ومخالفة لسنة الرسول، - ﷺ -، وأصحابه وسلف الأمة، وقد أنكرها السلف وحذروا منها.

كما أن الصوفية المنحرفة الضالة التى ظهرت بعد القرن الثالث اتكأت على هذه الهفوات والزلات والشطحات، واتخذتها ذريعة لبدعها وضلالاتها وطرقها الفاسدة، زاعمة أن لها فى ذلك قدوة من الصالحين، وهذا من تلبيس الشيطان وأتباعه[١].

ومن أولئك المنحرفين المتصيدين في الماء العكر الذين أحدثوا هذه البدع، كابن عربي المكي الطائي، وكالحلاج، وكابن سبعين، وكالسهرودي، أولئك الذين جاءوا للأمة بعقيدة الحلول والاتحاد، هؤلاء ليسوا في الواقع ممن يصلح أن ينتسب للصوفية الأولى أو ليس من النوع الذي **كان التصوف عندهم عبارة عن الزهد، إذ كان التصوف أول ما ظهر في أمره عبارة عن**

---

[١] - أصول وتاريخ الفرق (١ / ٢٩).

الزهد والانقطاع عن الدنيا، ولم يختلط بالمفاهيم الفلسفية؛ إلا في وقت متأخر؛ ولهذا ظهر عند المتصوفة عقيدة الحلول، عقيدة الاتحاد، هذه العقائد الفاسدة [١].

---

[١] - وانظر شرح الفتوى الحموية (١ / ٣٤١) التويجري.

تمهيد

لقد ورد في كتاب الله آياتٌ كثيرة تدلُّ على الترغيب في اتِّباع ما جاء به الرسول الكريم ﷺ، والحث على ذلك والتحذير من مخالفة الرسول ﷺ فيما جاء به من الحق والهدى والوقوع في الشرك والبدع والمعاصي، فمِن ذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣ ، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٦ وقوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣ ، قال ابن كثير في تفسيره: ((أي: عن أمْر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزَن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردودٌ على قائله وفاعله كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[1]، أي: فليحذر وليخش مَن خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ((أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ)) أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، ((أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) أي: في الدنيا بقتل أو حدٍّ أو حبس أو نحو ذلك)).[2]

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١ ، وقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١ قال ابن كثير في تفسيره: ((هذه الآية الكريمة حاكمة على كلِّ مَن ادَّعى محبَّةَ الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنَّه كاذبٌ في نفس الأمر حتى يتَّبع الشرعَ المحمدي والدِّينَ النَّبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺأنَّه قال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ولهذا قال: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ))، أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبَّتكم إيَّاه، وهو محبَّته إيَّاكم،

---

[1] - سبق تخريجه .

[2] - تفسير ابن كثير (٦ / ٩٠) / دار طيبة ، وانظر الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها (١ / ١٠) عبد المحسن البدر .

وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنَّما الشأن أن تُحَبَّ، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قومٌ أنَّهم يُحبُّون اللهَ فابتلاهم الله بهذه الآية فقال: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ))[١] .

واتِّباع سنَّة الرسول ﷺ في الأخذ بما دلَّ عليه الكتاب والسنَّة كما أنَّه لازمٌ في الأمور العقدية بقوله ﷺ: ((فإنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء المهديين الراشدين))[٢] فهو لازمٌ في الأمور الفرعية التي يسوغ فيها الاجتهاد عند ظهور الدليل، وقد أوصى العلماء من سلف هذه الأمة . ومنهم الأئمَّة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد . بالأخذ بما دلَّ عليه الدليل، وترك أقوالهم التي قالوها إذا جاء حديثٌ صحيح عن رسول الله ﷺ بخلافها، وقد اشتهر عن الإمام مالك قوله: ((كلٌّ يؤخذ من قوله ويُردُّ إلاَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم))، وقال الإمام الشافعي رحمه الله: ((أجمع الناسُ على أنَّ من استبانت له سنة رسول الله صلى ﷺ لم يكن له أن يَدَعها لقول أحد)) ، وقال ابن القيم قبل ذكر هذا الأثر بقليل: ((فمَن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزَنَها بها وخالف منها ما خالف النصَّ لم يُهدِر أقوالَهم ولَم يهضِم جانبهم، بل اقتدى بهم؛ فإنَّهم كلَّهم أمروا بذلك، فمتَّبِعُهم حقًّا مَن امتثل ما أوصوا به لا مَن خالفهم))[٣] .

والبدع كلُّها ضلالٌ؛ لعموم قوله ﷺ في حديثي جابر والعرباض: ((وكلُّ بدعة ضلالة))[٤]، وهذا العموم في قوله ﷺ: ((وكلُّ بدعة ضلالة)) يدلُّ على بطلان قول مَن قال: إنَّ في الإسلام بدعة حسنة، وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما في الأثر الذي تقدَّم ذكره قريباً: ((كلُّ بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة))، ولا يُقال: إنَّ في الإسلام بدعة حسنة؛ لقوله ﷺ: ((من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة فله أجرها وأجر مَن عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيِّئة كان عليه وزرُها ووِزرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))[٥] ؛ لأنَّ المرادَ به السَّبق إلى فعل الخير والاقتداء بذلك

---

١ – تفسير ابن كثير(٢ / ٣٢) .

٢ – سنن الترمذي (٥ / ٤٤ح٢٦٧٦) وقال أبو عيسى حديث صحيح .

٣ – الروح (١ / ٢٦٤) ، وانظر الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها (١ / ١٩) .

٤ – صحيح مسلم (٣ / ١١ح٢٠٤٢) ، سنن أبي داود (٤ / ٣٢٩ح٤٦٠٩) .

٥ – صحيح مسلم (٣ / ٨٦ح٢٣٩٨) .

السابق كما هو واضح من سبب الحديث المذكور في صحيح مسلم قبل إيراد هذا الحديث، وحاصله أنَّ جماعة من مُضَر قدِموا المدينة، يظهر عليهم الفقر والفاقة، فحثَّ رسول الله ﷺعلى الصدقة، فجاء رجلٌ من الأنصار بصُرَّة كادت يده تعجز عن حملها، فتتابع الناس بعده على الصدقة، فعند ذلك قال النَّبيُّ ﷺ: ((من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة)) الحديث، ويدخل في معناه —أيضاً– من أحيا سنَّةً ثابتة عن رسول الله ﷺفي بلد لم تكن ظاهرة فيه، وأمَّا أن يكون معناه الإحداث في الدِّين فلا؛ لقولهﷺ: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ))، وقد تقدَّم، فإنَّ الشريعة كاملةٌ لا تحتاج إلى محدثات، وفي إحداث البدع اتِّهام لها بالنقصان وعدم الكمال، وقد مرَّ قريباً قول ابن عمر رضي الله عنهما : ((كلُّ بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة))، وقول مالك: ((من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أنَّ محمداً خان الرسالة؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ٣ ﴾ **المائدة:** ٣ ، فما لَم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً)) [١]

وبعد هذا التمهيد الذي وضعته بين يدي البحث ، في لزوم اتباع السنة النبوية ، فإلى الفصول التي أردت الحديث من خلالها؛ للتعريف بالصوفية وبيان موقفهم من السنة النبوية ، والله هو المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

[١] - الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها (١ / ٢٣)

الباب الأول

الصوفية ونشأتها الأولى وفيه ثمانية فصول :

المراد بالصوفية

حينما نأتي إلى تعريف الصوفية وبيان المراد بها ، نجد كمًا هائلاً من التعريفات والتوضيحات لهذه النِحلة الدخيلة على دين الإسلام – والله المستعان – ولاريب أن هذه التعريفات جاءت من وقت مبكر حينما بدأ العباد ينحون منحى في عباداتهم قد تكون أسبابها بعض شطحات من قبلهم ممن أراد السير على منوال معين من العبادة ، فحاد عن السنة بحجة معاناة النفس ، وأطرها على سبيل العبادة ، وهو لا يشعر أن فعله ذلك مسلك خطير نتيجته المباشرة : اتخاذه قدوة لمن بعده يخشى عليه ان يكون ممن قال الله فيهم ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ **النحل: ٢٥**

ولقد وُجِّهت بعض سؤالات إلى من ألزم نفسه هذا المذهب ، عن التصوف وما هو كنهه وحقيقته ، فكان كل واحد من أولئك يجيب على حسب زعمه ورأيه ، ومن أوسع ما جمع هذه الأقوال كتاب (الحلية) لأبي نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ)، والذي يعد ممن يعظمه الصوفية ، وينتسبون إليه .

وقد تنوعت أجوبة مشيختهم في التصوف واختلفت عباراتهم وكل قد أجاب عن حاله **ويشتمل كلام المتصوفة على ثلاثة أنواع فاولها إشاراتهم إلى التوحيد والثاني كلامهم في المراد ومراتبه والثالث في المريد وأحواله ثم لكل نوع من الثلاثة مسائل وفروع يكثر تعدادها فأول أصولهم العرفان ثم إحكام الخدمة والإدمان.**

فأما التصوف فاشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبارات من الصفاء والوفاء واشتقاقه من حيث الحقائق **اللغوية** كالتالي :

فانه تفعل من أحد أربعة أشياء:

١- من **الصوفانة** وهي بقلة وغباء قصيرة.

٢- أو من **صوفة** وهي: قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة.

٣- أو من **صوفة** القفا وهي الشعرات النابتة في متأخره.

٤- أو من **الصوف** المعروف على ظهور الضأن .وإن أخذ التصوف من الصوفانة التي هي البقلة فلاجتزاء القوم بما توحد الله عز وجل بصنعه ومنَّ به عليهم من غير تكلف بخلقه فاكتفوا به عما فيه للآدميين صنع ،كاكتفاء البررة الطاهرين من جلة المهاجرين في مباديء إقبالهم وأول أحوالهم[١] .

---

[١] - حلية الأولياء (١ / ١٧)

وأما تعريفاته الاصطلاحية عند أهله الأوائل ، فهو ما سأذكره عنهم من خلال أسئلة تعرض عليهم ، أوردها أبو نعيم في (الحلية).

فهذا سؤال يوجه إلى الجنيد بن محمد عن التصوف ، فقال:(من صفا قلبه فصفى وسلك طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم ورمى الدنيا خلف القفا وأذاق الهوى طعم الجفا ، قلت له:[١] هذا الصوفي ما التصوف؟ قال :التألف والتطرف والإعراض عن التكلف قلت ، له أحسن من هذا ما التصوف قال: (تسليم تصفية القلوب لعلام الغيوب) ،فقلت له أحسن من هذا ما التصوف؟ فقال: تعظيم أمر الله وشفقته على عباد الله فقلت له أحسن من هذا من الصوفي؟ قال: من صفا من الكدر وخلص من العكر وامتلأ من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر)

وقال **الجنيد بن محمد** رحمة الله عليه–أيضًا– وسئل عن التصوف فقال: اسم جامع لعشرة معاني **الأول** التقلل من كل شيء من الدنيا عن التكاثر فيها **والثاني** اعتماد القلب على الله عز وجل من السكون إلى الاسبات **والثالث** الرغبة في الطاعات من التطوع في وجود العوافي **والرابع** الصبر عن فقد الدنيا عن الخروج إلى المسألة والشكوى **والخامس** التمييز في الأخذ عند وجود الشيء **والسادس** الشغل بالله عز وجل عن سائر الأشغال **والسابع** الذكر الخفي عن جميع الأذكار **والثامن** تحقيق الإخلاص في دخول الوسوسة **والتاسع** اليقين في دخول الشك **والعاشر** السكون إلى الله عز وجل من الاضطراب والوحشة، فإذا استجمع هذه الخصال استحق بها الاسم وإلا فهو كاذب)

وسئل السرى السقطي عن التصوف فقال:(التصوف خلق كريم يخرجه الكريم إلى قوم كرام)

وسئل عَبد الرحمن بن مجيب عن الصوفي فقال:(لنفسه ذابح ولهواه فاضح ولعدوه جارح وللخلق ناصح دائم الوجل يحكم العمل ويبعد الأمل ويسد الخلل، ويغضى على الذلل عذره بضاعة، وحزنه صناعة وعيشه قناعة، بالحق عارف وعلى الباب عاكف ،وعن الكل عازف تربية بره، وشجرة وده وراعي عهده) [٢].

---

[١] – أي السائل .

[٢] - حلية الأولياء (١ / ٢١-٢٣)

وقال ذو النون- رحمة الله عليه- حينما سئل عن الصوفي فقال:(من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق ، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق) [١]

وقد قيل: (**إن التصوف تطليق الدنيا بتاتا والإعراض عن منالها ثباتا**)[٢] .

وعليه ، فهذا مفهوم التصوف عند أهله الأوائل منهم، فهو عندهم عبارة عن الإعراض عن عرض الدنيا ،والانسلاخ منها بقدر مايستطيع العبد منهم، ومجاهدة النفس على أنواع العبادة، والتصدي لهوى الشيطان، مع شعور بروح المودة والأخوة بين المسلمين، أو أصحاب الطريقة منهم، وقد عبر بعضهم عن هذا المفهوم بعبارات فيها بعض إغلاق، مع جمالها وروعتها وتأثيراتها في نفس سامعها ؛ وذلك – والله أعلم- لصدق تجردهم في العبادة ، وحسن نواياهم في سلوك الطريق ، بخلاف المتأخرين منهم ، الذين ليس لأكثرهم في ذلك إلا الاسم، ولا في تحليهم بالصوفية إلا الرسم، عقائدهم وأفكارهم منكوسة، وبواطنهم مطموسة، وآراؤهم تجاه الحق معكوسة، ليس لأحدهم من هم إلا إشباع بطنه، أو ذَيع سمعته وشهرته، حتى يقال: فلان الصوفي الزاهد ، وليس له من ذلك حظ ولا نصيب.

---

[١] - حلية الأولياء (١ / ٢٢)

[٢] - المصدر السابق (١ / ٣٠)

الفصل الثاني : نشأتها الأولى

إن الإسلام دين اليسر ودين الفطرة التي فطر الناس عليها ، أنزله الله على قلب سيد الخلق لهداية البشر .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ التوبة: ٣٣

وأمر سبحانه جل وعلا أن يتمسك به ، ويقدمه إلى الناس ليعرفوه ويتمسكوا به بدورهم .

وأنه عبارة عن الإقرار بوحدانية الله عز وجل لا شريك له، والشهادة بأن محمدا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، وإقامة الصلوات الخمس، وإيتاء الزكاة بعد مرور عام على ملاك النصاب ، وكذلك صوم شهر رمضان من اثني عشر شهرا، وحج البيت إن إستطاع إليه سبيلا، كما ورد في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام أنه جاء يوما من الأيام يسأل النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فقال :

(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن إستطعت إليه سبيلا) [1]

أو كما ورد في حديث أعرابي جاء النبي صلوات الله وسلامه عليه فقال له : (دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة).

قال : (تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان)، قال : (والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا ولا أنقص منه) ، فلما ولّى، قال النبي ﷺ: (من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا) [2].

وبالجملة فإن الإسلام يأمر بالتمسك بأوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ،وقضاء حياة مثل ما قضاها رسول الله، واختيار الطرق والسنن التي اختارها أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كما أمر به الرب تبارك وتعالى في كلامه المحكم :

---

[1] - صحيح مسلم (١ / ٢٨ح١٠٢).

[2] - صحيح مسلم (١ / ٣٣ح١١٦)

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٢ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾الأنفال:١٣

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ الحشر: ٧ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧١

وحث النبي ﷺ على التمسك والتشبث بالكتاب والسنة قائلا : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله)[١].

ثم ربّى أصحابه وتلامذته ﭫفي ظلهما وضوئهما تربية نموذجية لكي يكونوا قدوة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، ومثلا عليا لمن أراد أن يهتدي بهدي الله جل وعلا وهدى رسوله ﷺ ، فكانوا صورة حية لتعاليم الرب تبارك وتعالى وإرشادات رسوله ﷺ متبعين مقتدين، غير مبتدعين محدثين، متقدمين بين يدي الله ورسوله، مبتغين مرضات الله، ومقتفين آثار رسول الله ﷺ مهتدين بهديه، سالكين بمسلكه، منتهجين منهجه، غير باغين ولا عادين، ولا مفرطين ولا مفرّطين في أمور دينهم ودنياهم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنعام: ٩٠

وكان خيار هؤلاء كلهم – وكلهم خيار الخلق أجمعين – أصحاب بيعة الرضوان الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت وهم في الحديبية، فأنزل الله لهم البشرى برضوانه وجعل يده فوق أيديهم ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ الفتح: ١٨

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ الفتح: ١٠

وفاقهم في المنزلة والشأن أهل بدر ، الذين اطلع الله عليهم فقال : (اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة)[٢]

وبمثل ذلك قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي في (إعتصامه) [٣]:

---

[١] – صحيح مسلم (٤ / ٣٩ح٣٠٠٩) من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبيﷺ ، وأبو داود (٢ / ١٢٢ح١٩٠٧) ، وغيرهما .

[٢] – سنن أبي داود (٣ / ١ح٢٦٥٢) ، وانظر التصوف المنشأ والمصادر (١ / ١٠) إحسان إلهي ظهير.

[٣] – انظر الاعتصام (١ / ٤٨).

(والثاني : إن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان ، لن الله تعالى قال فيها :
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ المائدة: ٣ .

وفي حديث العرباض بن سارية ﷺ: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها الأعين ووجلت منها القلوب ، فقلنا : يا رسول الله ، إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا ؟ قال: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، ولا يزيغ عنها إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى إختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) [١]الحديث.

وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة.

فإذا كان كذلك ، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله : إن الشريعة لم تتم ، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها ، لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه، لم يبتدع ولا استدرك عليها . وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم .

قال ابن الماجشون : سمعت مالكا يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمد صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله يقول : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } فما لم يكن يومئذ دينا ، فلا يكون اليوم دينا

والثالث : إن المبتدع معاند للشرع ومشاقٌ له، لأن الشارع قد عين المطلب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعدِّيها – إلى غير ذلك، لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين . فالمبتدع رادٌ لهذا كله ، فإنه يزعم أن ثمَّ طرقا أخر، ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ماعينه بمتعين، كأن الشارع يعلم، ونحن أيضا نعلم . بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع، أنه علم ما لم يعلمه الشارع [٢].

وقال قوم : إنما سموا **صوفية لأنهم في الصف الأول** بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم عليه ، ووقوفهم بسائرهم بين يديه .

---

[١] – رواه أبو داود (٤ / ٣٢٩ح٤٦٠٩) ،والترمذي (٥ / ٤٤ح٢٦٧٦) ،وقال : حسن صحيح.

[٢] – التصوف المنشأ والمصادر (١ / ١٦)

وقال قوم : إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة، الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال قوم : إنما سموا صوفية للبسهم الصوف .

وأما من نسبهم إلى **الصفة والصوف** فإنه عبّر عن ظاهر أحوالهم، وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا ، فخرجوا عن الأوطان ، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد، لم يأخذوا من الدنيا إلا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه ، من ستر عورة ، وسد جوعة. فلخروجهم عن الأوطان سموا غرباء . ولكثرة أسفارهم سموا سياحين [١].

عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال * (لقد كان أصحاب الصفة سبعين رجلا مالهم أردية)[٢] قال الحاكم :(تأملت هذه الأخبار الواردة في أهل الصفة فوجدتهم من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ورعا وتوكلا على الله عز وجل وملازمة لخدمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اختاره الله تعالى لهم ما اختاره لنبيه ﷺ من المسكنة والفقر والتضرع لعبادة الله عز وجل وترك الدنيا لأهلها، وهم الطائفة المنتمية إليهم الصوفية قرنا بعد قرن، فمن جرى على سنتهم وصبرهم على ترك الدنيا والأنس بالفقر وترك التعرض للسؤال فهم في كل عصر بأهل الصفة مقتدون وعلى خالقهم متوكلون).

وبعد هذا وغيره مما يبين كمال الشريعة ، وسمو منزلتها ، وأن الله – تبارك وتعالى – أتم على الناس النعمة ، وكمل لهم دينهم بما لايحتاج إلى زيادة ولا نقصان، وأن النبي ﷺ قد بين كل ما تحتاجه الأمة من أمور دينها ، وقد سار الصحابة –رضي الله عنهم– على المنهج الذي رسمه لهم النبيﷺ، ثم جاء بعده التابعون ، وقد كانوا خير خلف لسلف ، ثم ظهر في أواخر عهدهم نوع جديد من التأثر الروحي نحو العبادة، والتلفظ بألفاظ وعبارات غامضة إلى حدٍّ ما. مما يجد لها السامع في نفسه الاهتزاز الوجداني، تخاطب النفس، ولكن بألفاظ فيها نوعٌ مما يدعوا إلى تعلق من وراءهم بها، حتى أولوها تأويلات بعيدة المأخذ غريبة المنبع، وكأن أصحابها ليس لهم هم إلا الترنم بتلك الألفاظ ، والتعبد بمدلولاتها التي شرق بها قائلها وغرب ،فانظر –مثلاً–

---

[١] - المصدر السابق (١ / ١٨).

[٢] - الحاكم في مستدركه ج ٣/ ص ١٨ حديث رقم: ٤٢٩٢ وقال :هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، **وانظر** موسوعة التخريج (١ / ١١٠٦٣).

إلى رابعة العدوية وما بلغ بها من حال التعبد والحب لله – تبارك وتعالى– قَالَ أَبُو مَعْمَرٍ المِقْعَدُ: نَظَرتْ رَابِعَةُ إِلَى رِيَاحٍ يَضُمُّ صَبِيّاً مِنْ أَهْلِهِ وَيُقَبِّلُهُ.

فَقَالَتْ: أَتُحِبُّه؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَتْ: مَا كُنْتُ أَحسِبُ أَنَّ فِي قَلْبِكَ مَوْضِعاً فَارِغاً لِمَحَبَّةِ غَيْرِهِ، تَبَارَكَ اسْمُهُ.

فغُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، وَقَالَ: رَحْمَةٌ مِنْهُ –تَعَالَى– أَلْقَاهَا فِي قُلُوْبِ العِبَادِ لِلأَطْفَالِ[١].

فهذه الأفعال والأقوال المحكية عن بعض من نسب إلى التصوف وطريقة االزهد في الدنيا ، حول ذلك إلى مثالب في حياة من سبقهم من الصالحين والعباد ، ممن كان جيد المعتقد وسليم السلوك ، ولكن ذلك لشطحات وردت في تصرفاته الحياتية العبادية اتخذها من بعدهم في تصرفاتهم الشركية التي يزعمون بها التقرب لله، وما ذاك إل انحراف وغلو وميل عن الصراط المستقيم .

فرابعة العدوية ذُكر عنها من الألفاظ ما مثله يستبعد أن يقوله مثلها، أو لعلها بسبب أو آخر صدر منها ذلك عفوًا، فأصبح حجة لأهل الاتحاد والحلول .

قَالَ أَبُو سَعِيْدٍ بنُ الأَعْرَابِيِّ: أَمَّا رَابِعَةُ، فَقَدْ حَمَلَ النَّاسُ عَنْهَا حِكْمَةً كَثِيْرَةً، وَحَكَى عَنْهَا: **سُفْيَانُ، وَشُعْبَةُ**، وَغَيْرُهُمَا مَا يَدُلُّ عَلَى بُطْلاَنِ مَا قِيْلَ عَنْهَا، وَقَدْ تَمَثَّلَتْهُ بِهَذَا:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الفُؤَادِ مُحَدِّثِي * وَأَبَحْتُ جِسْمِيَ مَنْ أَرَادَ جُلُوْسِي

فَنَسَبَهَا بَعْضُهُم إِلَى الحُلُوْلِ بِنِصْفِ البَيْتِ، وَإِلَى الإِبَاحَةِ بِتَمَامِهِ.

قُلْتُ:[٢] فَهَذَا غُلُوٌّ وَجَهْلٌ، وَلَعَلَّ مَنْ نَسَبَهَا إِلَى ذَلِكَ مُبَاحِيٌّ حُلُوْلِيٌّ، لِيَحْتَجَّ بِهَا عَلَى كُفْرِهِ، كَاحْتِجَاجِهِم بِخَبَرِ: (كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ)[٣].

وانظر إلى مالك بن دينار – رحمه الله – وما ذكر عنه حيث يَقُوْلُ:لاَ يَبلُغُ العَبْدُ مَنْزِلَةَ الصِّدِّيْقِيْنَ حَتَّى يَتْرُكَ زَوْجَتَهُ كَأَنَّهَا أَرْمَلَةٌ، وَيَأْوِي إِلَى مَزَابِلِ الكِلاَبِ[٤].

قلت: إن ثبت ذلك عنه، فلا أظنه يريد هجر السنة والحيد عنها، وإنما لعله أراد المبالغة في

---

١ - سير أعلام النبلاء (١٥ / ١٧١).

٢ – أي الذهبي .

٣ - سير أعلام النبلاء (١٥ / ٢٤٢).

٤ – المصدر السابق (١٧١/١٥).

الزهد والعبادة و والرغبة الصادقة في الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة ، وإن أراد مالك ذلك في ظاهره ، فإنه رجل من المسلمين ، يؤخذ عنه ويرد عليه ، والحق أحق أن يتبع ، فلا نترك سنة نبينا لأجل مالك ، أو فلان وفلان ممن شطح أو بعُد عن الحق والصواب .

وهذه الأقوال والأحوال السابقة فيها دلالة ظاهرة على بدء ونشوء فكرة التصوف ، سواء كانت أحوال أصحابها ظاهرة وتصرفاتهم بارزة ، أم لا.

مع أن هناك ألفاظًا تؤكد أنه نشأ في وقت مبكر ، وهي الحقبة الأخيرة من حياة التابعين، ومما يدل على ذلك ما رُوي عن الحسن البصري أنه قال : رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال : معي أربعة دوانيق يكفيني ما معي . وروي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء [١] .

وبالجملة فإن فكرة التصوف الأول كانت عبارة عما ذُكر سابقًا من الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة ، سواء كان أصحاب تلك الطريقة يلبسون الصوف، أو لا يلبسونه، وسواء نسبوا إلى أهل الصفة من أصحاب النبيﷺ وهم أهل الفقر والحاجة، أو غير ذلك، ثم تأمل ما قاله الإمام ابن الجوزي عنهم ، وكيف بدء ظهورهم : (كانت النسبة في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإيمان والإسلام ، فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد،ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث بن مر فانتسبوا اليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية..) إلخ[٢].

إلى أن قال : (وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها : أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة ،وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى ،والحديث بإسناد عن الطوسي يقول سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول: سألت الجنيد بن محمد عن التصوف فقال الخروج عن كل خلق ردىء،والدخول في كل خلق سني ،وبإسناد عن عبد الواحد بن بكر قال: سمعت محمد بن خفيف يقول: قال رويم :كل الخلق قعدوا على الرسوم

---

[١] - التصوف المنشأ والمصادر (١ / ٣٦-٣٧).

[٢] - تلبيس إبليس (١ / ١٤٥).

وقعدت هذه الطائفة على الحقائق وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع ،وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق.

وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طعمه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات فمنهم من أراده أن المقصود من ذلك : ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي، وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة، ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم ويتفق بعدهم عن العلماء،لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن ،وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصًا مستحسن الصورة فهاموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم فمن هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد ،وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا وجاء أبو عبد الرحمن السلمي، فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم وإنما حملوه على مذاهبهم والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز قال أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري قال :كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئا يسيرا ،فلما مات الحاكم أبو عبد الله بن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه وكان يضع للصوفية الأحاديث[١].

---

[١] -تلبيس إبليس (١ / ١٤٧-١٤٨).

الفصل الثالث : معتقدات الفكر الصوفي فيما يتعلق بصفات الله تعالى:

إننا حينما نتحدث عن الصوفية، وأنها بدعة دخيلة على الإسلام ألبست بلباسه، وتزينت بدثاره وشعاره، = لابد أن نذكر أعظم جوانب الضلال الظاهرة في كيانها، وتحت سربالها المظلم، ذلك ما يتعلق بشركهم في أمر توحيد الأسماء والصفات ، فقد كثر عند غلاتهم مذهب التشبيه ؛ ولهذا يزعمون أنهم يصافحون الله، ويعانقونه، ويسامرونه، ويجالسونه -تعالى الله عن ذلك علو كبيرا-.

مع أن القصد هو العدل في معرفة الحق تجاه هذا النوع من التوحيد، وهو سلوك الطريقة السليمة بين الأمرين. بمعنى: أن يتوسط الإنسان بين التشبيه، وبين التعطيل. يثبت، وينزه.

ينزه؛ لكن لا يغلو في التنزيه، فيفضي به هذا التنزيه إلى الخروج لمذهب المعطلة، فينفي ما أثبته الله.

ويثبت؛ لكن لا يغلو في الإثبات، فيفضي به هذا الأمر إلى تشبيه الخالق بالمخلوق، كما هي الحال عند المشبهة.

والمطلوب من العبد اثبات الصفات بلا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه [(١)].

وقال أبو نعيم الأصبهاني -صاحب "الحلية"- في عقيدة له، في أولها: طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ومما يجدر أن نؤكده مرارًا : أن العلماء المتقدمين ممن ظهر منهم نوع تصوف ، أو برزت منهم ملامحه في عباراتهم وسلوكياتهم ومؤلفاتهم ، وهم — أيضًا - ممن يفتخر بهم متأخروا الصوفية ، كانوا في الحقيقة على مذهب السلف في عقيدتهم ،فهذا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، المتوفى سنة أربعمائة وثلاثين، صاحب كتاب "الحلية" المشهور؛ وهو ممن يعظمه أهل التصوف، ومما ينكره المتصوفة ما يتعلق بمسألة العلو؛ إذ إن الصوفية ينفون عن الله العلو، ويقولون بالحلول، وأن الله مختلط حال ممتزج بالخلق -تعالى الله عن ذلك علو كبيرا-.

ومما يعتقده أبو نعيم وأهل الحق من الصوفية الأُول: أنّ الأحاديث التي ثبتت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في العرش واستواء الله يقولون بها، ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا

---

[١] - شرح الفتوى الحموية (١ / ٣٤٧).

تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه [١].

ويقول أبو نعيم: في عقيدة له، في أولها:(طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة. وهذا هو منهج السلف الصالح. أنهم يلتزمون الكتاب والسنة على وفق مفهوم سلف الأئمة).

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني –شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده– قال: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين.

قال فيها: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل. والاستواء معقول، والكيف فيه مجهول.

وأنه – عز وجل – بائن من خلقه، والخلق منه بائنون، بلا حلول ولا ممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه المنفرد البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق.

وأن الله – عز وجل – سميع، بصير، عليم، خبير، يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء، فيقول: هل من داعٍ فأستجيبَ له؟ هل من مستغفرٍ فأغفرَ له؟ هل من تائبٍ فأتوبَ عليه؟ حتى يطلع الفجر. ونزول الرب إلى السماء بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال. وسائر الصفوة من العارفين على هذا.

ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه. يعني: لا يكيف ولا يشبه، ليس كنزول المخلوق من المخلوق، المخلوق إذا نزل من شيء إلى شيء صار هذا الشيء الذي نزل منه أعلى منه، أما الله – عز وجل – فإنه ينزل نزولا يليق بجلاله وعظمته؛ ومع ذلك لا يعلوه شيء من خلقه، فهو العلي الأعلى. ولا تأويل، يعني: لا نشبه نزول الله – عز وجل – بنزول الخلق، ولا نأول

---

[١] - نقل ابن كثير عن ابن الجوزي أن أبا نعيم كان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد، وذكر ابن عساكر أنه من أصحاب أبي الحسن الأشعري؛ لكن إذا نظرنا إلى عقيدته التي نقلها شيخ الإسلام وأوردها في مواضع متعددة ونقلها –أيضا– ابن القيم؛ نلاحظ أنه على عقيدة أهل السنة في الجملة. فربما أنه كان يميل إلى تأويل بعض الصفات، ويوافق الأشاعرة؛ ولهذا صنفه هؤلاء ضمن الأشاعرة، وربما أنه كان يقول بهذا القول في أول حياته ثم رجع عن ذلك. وانظر شرح الفتوى الحموية/التويجري (١ / ٣٥٢).

نزول الله – عز وجل – كما أول ذلك المعطلة، فمن أنكر النزول، أو تأول فهو مبتدع ضال، بمعنى: من زعم أن الله لا ينزل، ورد هذا الحديث، ودلالة هذا الحديث؛ بناء على –مثلا– أنه خبر آحاد؛ علما بأنه من الأحاديث المتواترة، أو تأوله، بمعنى: صرفه عن ظاهره. فحكمه: أنه مبتدع ضال، لماذا؟ لأنه فهم النص، أو تعامل مع هذا النص على خلاف ما فهمه الصحابة – رضي الله عنهم–، وليس له مسوغ لا في الشرع، ولا في العقل، ولا في لغة العرب؛ أن يصرف هذا النص عن ظاهره[١].

ومن خلال هذه النصوص يتبين تمامًا عقيدة المعتدلين ممن ينتسب إلى الصوفية من العلماء المتقدمين فيما يتعلق بصفات الله — تبارك وتعالى – كالذين سبق ذكرهم ، بخلاف المتأخرين منهم ، ففيما يتعلق بالاستواء — مثلاً — نرى أن الإمام أبا نعيم ، يسلك طريقة السلف الصالح ، ويشيد بها ، وكذا ما حكاه العارف معمر الأصبهاني فيما يتعلق بالاستواء حيث قال : (وأن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل. والاستواء معقول، والكيف فيه مجهول). بخلاف أولائك الذين ذكرهم شيخ الإسلام من الصوفية الذين يرون أن الله بكل مكان.[٢]

وهذا القسم من الصوفية حينما يتحدثون بهذا المفهوم السابق للاستواء يعترضهم مفهوم المعية من الله — تعالى — لخلقه ، والتي ورد ذكرها في الكتاب والسنة **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ **الحديد: ٤**

وقوله عليه الصلاة والسلام« وَالَّذِى تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ ».}[٣].

قال الكرمي في (أقاويل الثقات) قال ابن تيمية : (..وقسم يقولون إنه تعالى مع كل أحد بذاته ومع كل شيء لكن معية تليق به وهذا المذهب هو قول كثير من متأخري الصوفية ، واحتجوا بأنه تعالى فوق عرشه إلى ما لا نهاية له، وما دون العرش ومع كل شيء معية تليق به فكما أنه ليس كمثله شيء في ذاته ليس كمثله شيء في صفاته فليس معيته وقربه كمعية أحد منا وقربه .

---

[١] - شرح الفتوى الحموية (١ / ٣٥٥) .

[٢] - شرح الفتوى الحموية (١ / ٣٥٠).

[٣] - صحيح مسلم (٨ / ٧٤).

قالوا : فلسنا معطلين لأن تعظيمنا أبلغ من تعظيمهم والتعطيل إنما يكون مع من خلا توحيده عن التعظيم ومن قال إن الله تعالى عند كل الجهات وإن لم يكن فيها ومع كل شيء وإن لم يكن في شيء لا بالحلول ولا بالمجاورة ودليله ونحن أقرب إليه منكم ولكلن لا تبصرون فلا تعطيل معه ولا تجسيم ونقل هذا الذي قررته عن سيدي الشيخ أبي السعود الجارحي المدفون بمصر وقال عن هذا فهذا مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهو الحق الذي اختاره الصوفية الكرام وفقهاء الإسلام انتهى.

ثم قال الكرمي :ورأيت بعض أكابر مشايخهم صرح في تصنيف له أنه لا تخلو ذرة من ذرات العالم من ذات البارئ تقدس وتعالى

قلت : وهذا شيء ينفر منه الطبع والشرع ولكن لعل تقريبه للعقل أن البارئ سبحانه كان موجودا قبل وجود عالم الكون وهذا المقدار الذي وجد العالم فيه كان غير خال من وجود ذات البارئ ، فلما حدث العالم استمرت الذات المقدسة على حالها وهو الآن على ما عليه كان فهي مع العالم بأسره بذاتها وهي –أيضا– بعد وجود العالم كما كانت بلا حد ولا نهاية لكن هنا تتخبط العقول في هذه المعية الذاتية وربما تحصل لكثيرين الزندقة ويتدرج منها إلى القول بالوحدة المطلقة) [١].

وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال في كتاب "السنة":حدثنا أبو بكر الأثرم، حدثنا إبراهيم بن الحارث –يعني العبادي– حدثنا الليث بن يحيى، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث، قال أبو بكر –وهو صاحب الفضيل– قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن الله تعالى وصف نفسه بأبلغ فقال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص

فلا صفةَ أبلغُ مما وصف به نفسه.

---

[١] - أقاويل الثقات (١ / ٩٦-٩٧).

وكل هذا: النزول، والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الإطلاع، كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطَّلع، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف؟ فإذا قال الجهمي: أنا أكفر بربٍّ يزول عن مكانه. فقل: بل أومن برب يفعل ما يشاء[١].

ومن معتقداتهم الباطلة ادعاء علم الغيب:

وقد يدخل تحت الأمر السابق ، ولكن نخصه بالذكر ، لما في بيانه من أهمية إظهار شرك هؤلاء الصوفية ، (المجانب منهم لمنهج الكتاب والسنة)[٢]

كل هذه الاعتقادات الباطلةومنها:(**ادعاء علم الغيب**) موجودة عند بعض غلاة الصوفية، فبعضهم يزعم أنه وصل إلى درجة من الولاية بحيث إنه يعرف مآل هذا ومصير ذاك وبماذا سيختم لهذا ومنزلته، ويعلم ما كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يعلمه أو يقوله، وكل هذا لا شك أنه باطل وكفر؛ لأن فيه ادعاء لعلم الغيب، وعلم الغيب من الأمور التي استأثر الله بها﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾** ﴾ **النمل:** ٦٥ والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول كما أخبر الله عنه ﴿ **قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾** ﴾ **الأعراف:** ١٨٨ إذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو الذي ينزل عليه الوحي لا يعلم الغيب ولا يعرف مآل الناس ولا ماذا سيختم لهم إلا بوحي من الله، فكيف بمن دونه من الناس؟ نعم.

الفراسة ليست من ادعاء علم الغيب.

والفراسة حق على أصول يذكرها العلماء ، ليس ذلك مما سميناه في شيء، والله أعلم[٣].

---

[١] - شرح الفتوى الحموية (١ / ٣٧٩) التويجري .

[٢] – وضعت هذه الجملة بيت القوسين لئلا يدخل الصوفية المتقدمون في المتأخرين الغالين ؛ فإن المتقدمين وهم أهل الزهد والعبادة ، لم يظهر منهم مثل ما ظهر ممن أتى بعدهم ، والله أعلم .

[٣] - شرح الفتوى الحموية (١ / ٤٦٨).

ومن معتقداتهم: سقوط التكاليف عند وصول العبد إلى منزلة معينة

وهذا -أيضا- من الاعتقادات الفاسدة التي وجدت عند غلاة الصوفية: أن الإنسان إذا وصل إلى درجة من العلم واليقين سقطت عنه -كما أسلفت- سقطت عنه التكاليف، وأنه الآن خرج من رق العبودية إلى فضاء الحرية، وقوله: "والخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية" الأحدية المقصود بها عند أهل التصوف -هذا من مصطلحاتهم- القول بوحدة الوجود، بمعنى أن هذه الفوارق وهذه القواسم وهذه الاختلافات التي أمام عينيه تنتهي وتصبح شيئا واحدا، يصبح الرب عبدا والعبد ربا -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-، إذا وصل إلى هذه الدرجة خلاص انتهت التكاليف ولم يعد مكلفا.

ولهذا قال الشيخ: هذا كفر لا محالة، وتلاحظون أن بعض الطوائف والفرق التي ظهرت متأخرا كالأحباش أتباع عبد الله الهرري، التي الآن انتشرت في بعض أقطار العالم الإسلامي، أصول هذا المذهب هو مذهب أهل الحلول والاتحاد، إسقاط التكاليف، ولهذا يقِلُّ عندهم الشيء المحرم، الأصل عندهم الإباحة، فأصول هذا المذهب مأخوذ من مذهب أهل الحلول والاتحاد، نعم.

كفر من قال بسقوط التكاليف والعبودية عن العبد، فهو كافر لا محالة، إلا من اعتراه علة أو رأفة فصار معتوها أو مجنونا أو مبرسما، وقد اختلط في عقله أو لحقه غشية، ارتفع عنه أحكام العقل، وذهب عنه التمييز والمعرفة، فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة [1].

---

[1] - وانظر المصدر السابق .

الفصل الرابع : الفرق بين التصوف العملي والتصوف النظري .

لقد افتروا أن التصوف نوعان: **نظري** أو **إشراقي**، والغاية منه معرفة الله "بالأذواق" واكتناه أسرار ربوبيته بالمواجيد، فكانت نتيجته أن دان مؤتفكوه بالوحدة التامة بين الخلق والخالق . والنوع الآخر منه **هو العملي**، وهو قائم على الرياضات والمجاهدات أي على الذكر والزهد والعبادة. ومحاولة التفرقة بينهما، كالتفرقة بين الخبث وريحه المنتن، فالنظري من التصوف وليد العملي؛ لأن النظرية وليدة التطبيق .

ومنذ القرن الثاني وما بعده وحين بدأ المسلمون بنقل كتب الشعوب الأخرى واتسعت دائرة العلوم ، ترجم مقدار من آثار البوذية والهندية مما يدخل في باب **التصوف العملي** أي : الزهد وترك الدنيا ووصف العبادات والتقاليد الهندية والبوذية في هذا الباب ، ناهيك بنقل كتب هندية وبوذية في القرن الثاني للهجرة والصلات التجارية والاقتصادية القائمة بين المسلمين والهنود في أوائل الخلافة العباسية وقد انتشرت طائفة من تاركي الدنيا والسائحين من الهنود والمانويين في العراق وسائر البلاد الإسلامية الأخرى وكما كانوا يتحدثون في القرن الأول عن الرهبان والسائحين مع المسيحيين ،كذلك أخذوا يتحدثون في القرن الثاني عن رهبان وسياح ممن لم يكونوا مسلمين ولا نصارى، وهم الذين سماهم الجاحظ (رهبان الزنادقة) واعتبرهم من زهاد المانوية[1] .

قال الجاحظ : (إن هؤلاء سياح والسياحة بالنسبة لهم في حكم التوقف واعتزال الساطرة في الصوامع والأديرة ، وتلك الجماعة يسافرون دائما اثنين اثنين ويسيحون بحيث إذا رأى الإنسان واحدا منهم يتيقن أن الثاني ليس ببعيد عنه إلى حد ما ، وسيظهر قريبا . ومن عاداتهم أنهم لا ينامون ليلتين في مكان واحد ، ولهؤلاء السياح خصال أربع : القدس والطهر والصدق والمسكنة [2].

إن التصوف العملي عند الصوفية قائم على الزهد والعبادة، ولكن زهد الصوفية غير التقوى المقررة في الإسلام، والعبادة في الصوفية غيرها في الإسلام.

وأي عبادة عند الصوفية؟

أهي تلك الركعات، أو السجدات التي لا يقر فيها قلب، ولا جسد، ولا تسلم فيها لله خاطرة واحدة، ولا يخشع شعور، ولا يضرع دعاء؟ فإنما هي لأصنام القبور سجود وتسابيح،

---

[1] – **المانوي (نسبة إلى ماني بن فانك متنبئ فارسي) انظر موسوعة الرد على الصوفية (٢١٦ / ١٣٧)** .

[2] – التصوف .. المنشأ والمصادر (١ / ١١٨) .

وجلاميدها الصم عبودية، تطفح بالخشية منها، والتقوى لها، واللياذ بها، والذهول المستغرق إلا عنها! ألا ترى مساجد الله خراباً، ومعابد القبور، تمور بالحشود المحشودة فيها من كل صوب وحدب؟ ألا ترى مساجد الله التي طهرها الله من أوثان الأضرحة، خاوية على عروشها، أما المعابد التي جثم على صدرها قبر ميت، وثوت فيها رمته، أو وهمه، فتضيق – على رحابها الفساح – الآمين لها رجاء بركات القبر، والرمة البالية، أو الوهم الخرافي المشيد عليه القبر، أو العظام المنوعة من حيوانات شتى؛ لتنصب النذور على السدنة؟! ألا ترى تلك المعابد ينفق على فرشها وإضاءتها وتبخيرها الألوف؟! أما مساجد الله فتترك للغربان تسلح عليها، وللبوم ينعب فيها!.

ما عبادة الصوفية؟ أهي تلك النذور يحفدون بها إلى الجيف؟ أهي هذا السجود على عتبات الأصنام ؟! أهي هذا التقبيل الملهوف العاشق لأحجار الأوثان رجاء سلسبيل رحمة منها ومغفرة؟ أهي هذا التوسل إلى الله بعظام نخرة، وصفوان أملس، وخشب عافه السوس من طول ما طعم منه؟ أهي هذا الدعاء العريض بالهامدين في القبور، ينشدون منهم مدد الحياة، وروح الخلود؟ أهي تلك الأوراد (لكل طريقة ورد خاص بها تفضله على جميع الأوراد الأخرى، بل تفضله على القرآن، قال طاغوت التيجانية: "وسألته ﷺ عن صلاة الفاتح، فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة" ، فتدبر كيف تجاهد الصوفية في سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله)؟!!

الشركية ينعق بها الصوفية تحت سجوات ليلهم المعربد، وشفوف السحر الراقص، في هياكل الطواغيت؟! أهي هذا الحلف بالقبور والهامدين فيها، وجعل الحلف بالله عرضة للفرار من ذنب، أو جريرة؟!

ذلك هو الجانب العملي من التصوف في ذكره وزهده وعبادته، أتراه يصلح لهداية الإنسانية، وقيادتها إلى مثلها العليا؟ أم تراه يفتك بها فتك السل الدفين بالصدر الرقيق الحزين؟![١]

أما جانبه النظري، فقد دانوا فيه بأن العبد عين الرب، وبأن الشرك عين التوحيد، فكان الصوفية يتحدثون عن ماهية الإله، وعن حقيقة العلاقة التي تربط الإنسان بالله: وقد آمن الحلاج بثنائية الطبيعة الإلهية باللاهوت والناسوت، وآمن بحلول اللاهوت في الناسوت.

---

[١] – موسوعة الرد على الصوفية (٢١٦ / ١٤٦) .

والحلاج في هذا متأثر بالمسيحيين السريان الذين استعملوا اللاهوت والناسوت؛ للدلالة على طبيعتي المسيح. يقول في الطواسين :

أنا من أهوى، ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

ويقول – أيضًا– : "أنا الحق، وصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون"[١].

نسأل الله السلامة والعافية .

[١] – انظر مصرع التصوف (١ / ٢٩) ، (٢١٦ / ١٣٣) مع الحاشية .

الفصل الخامس : علاقة الصوفية بالشيعة .

إنَّ صلة الصوفية بالتشيع شيء مؤكد، فمرجعهم دائماً من الصحابة هو علي بن أبي طالب أو الحسن بن علي"الذي هو أول الأقطاب" وسلاسل التصوف كلها ما عدا النادر القليل منها تنتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه دون سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي طرق إسنادها إلى علي أسماء أئمة الشيعة المعصومين حسب زعمهم من أولاد علي رضي الله عنه دون غيرهم، وأن رؤساء هذه العصابة يذكر لهم اتصال وثيق، وصلات وطيدة مع أئمة القوم كما يذكر في تراجمهم وسيرهم وأحوالهم، إضافة إلى ذلك أن الخرقة الصوفية لا يبدأ ذكرها أيضا إلا من علي رضي الله عنه –أيضا–[١].

ومن عقائد الصوفية أنهم يذهبون إلى القول بأن التوحيد مراتب أدناها مرتبة عندهم هو مدلول كلمة الإسلام العظيمة: "لا إله إلا الله" فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، ووصلوا عن طريق هذه المراتب إلى الكفر البواح، والقول بالاتحاد، وأن المخلوق عين الخالق؛ فخرجوا بذلك عن العقل والنقل، والدين، وفاقوا النصارى في شركهم الذين قالوا بحلول الإله في عيسى؛ لأن النصارى قالوا بحلول خاص وهؤلاء قالوا بالحلول العام.

ولكن شيوخ الشيعة الذين ينقلون لهذه الطائفة على مر العصور وكر الدهور حثالة المذاهب المبتدعة، وزبالة الأفكار البشرية الساقطة، وغثاء النفوس المعقدة.. أخذوا بهذا الاتجاه الصوفي المريب، ونقلوه إلى قومهم، بل عدوه هو عقيدتهم المعتمدة.

يقول شيخهم وآيتهم إبراهيم الزنجاني"إن مراتب التوحيد أربع.. توحيد العوام وتوحيد الخواص، وتوحيد خاص الخاص، وتوحيد أخص الخواص، والأول مدلول كلمة لا إله إلا الله" .

ويذكر بأن شيعته تمتاز عن المسلمين جميعاً بعقيدة توحيد خاص الخاص، وتوحيد أخص الخواص [٢].

ومن وجوه العلاقة مع الشيعة ظاهرة دعوى النبوة .

لقد أفرزت لوثات التصوف، وخيالات الفلسفة دعوى غريبة، وكفراً صريحاً، حيث أنها ترسم للسالك أسفاراً أربعة:

---

[١] – دراسات في التصوف والفلسفة (١ / ٢١).

[٢] – أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد (٣ / ١٠٣٥).

ينتهي السفر **الأول** إلى مقام الفناء "وفيه السر الخفيّ والأخفى.. ويصدر عنه الشطح، فيحكم بكفره، فإن تداركته العناية الإلهية.. فيقر بالعبودية بعد الظهور بالربوبية"[١]

وينتهي السفر **الثاني** عنده إلى أن "تصير ولايته تامة، وتفنى ذاته وصفاته وأفعاله في ذات الحق وصفاته وأفعاله، وفيه يحصل الفناء عن الفنائية أيضاً الذي هو مقام الأخفى، وتتم دائرة الولاية"

أما في السفر **الثالث** فإنه "يحصل له الصحو التام ويبقى بإبقاء الله، ويسافر في عوالم الجبروت والملكوت والناسوت، ويحصل له حظ من النبوة، وليست له نبوة التشريع، وحينئذ ينتهي السفر الثالث ويأخذ في السفر الرابع"

وبالسفر **الرابع** "يكون نبياً بنبوة التشريع"

فمراحل السفر عنده: الفناء، والولاية وفيها الفناء عن الفناء، والنبوة بلا تشريع، ثم النبوة الكاملة، وهي تتضمن أن النبوة مكتسبة عن طريق "رياضات" ومجاهدات أهل التصوف. وهي دعوى ترتد إلى أصول فلسفية صوفية قديمة، ولذا قال القاضي عياض: "ونكفر... من ادعى النبوة لنفسه، أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة الصوفية" وقزلباشية[٢]

كما أخذ الصوفية مسألة عصمة الولي من الشيعة الذين يقولون بعصمة الأئمة ولكنهم أخفوها فترة من الزمن فسموها(الحفظ) ثم صرح بها القشيري فقال:"واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة من المعاصي والمخالفات، ويجوز أن يكون من جملة كرامات ولي الله أن يعلم أنه ولي".

---

[١] - المصدر السابق (٣ / ١٠٩٩)

[٢] -القزلباشية: هم صوفية متشيعة من أتباع الصفويين، ولفظ القزلباش معناه الرؤوس الحمر، لتغطية رؤوسهم بشعار أحمر، وهو عبارة عن قنلسوة يلبسونها كشعار لهم وقد وصفها بعضهم بقوله: "لقد أمر حيدر ابن جنيد الصفوي أتباعه بأن ترتفع من وسط عمامتهم، ذات الأكوار العديدة قطعة مدببة على هيئة الهرم مقسمة من قمتها إلى أطرافها إلى اثنتي عشرة شقة تذكر بعلي وأبنائه الاثني عشر، ومن هنا سمي الصوفية من أتباع الصفويين بالقزلباش اتصالاً بهذا الشعار الاثني عشري الأحمر"وانظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد – (٣ / ١١٠٠).

ومن الموافقات الغريبة أن كل زعماء الطرق الصوفية يرجع نسبهم إلى علي بن أبي طالب ويتوارثون زعامة الطريقة كالإمامة عند الشيعة، وإذا كانت المشيخة هي محصول المجاهدة والسلوك فهل ولد الشيخ يجب أن يكون شيخاً؟

إن الشيخ عبد القادر الجيلاني يرجع نسبه إلى آل البيت، وكذلك الشيخ أحمد الرفاعي والبدوي، وأبو الحسن الشاذلي، والبكتاشي، والسنوسي، والمهدي، وكل زعماء الطرق حتى في البلاد الأعجمية مثل محمد نور بخش، وخواجه إسحاق وباليم سلطان.

والثلاثة الذين اشتهروا في التاريخ الإسلامي باسم الصوفي ولقبه بادئ ذي بدء كان اثنان منهم من الشيعة أو متهمين بالتشيع، كما أن هؤلاء الثلاثة كلهم كانوا من موطن الشيعة آنذاك، وهو الكوفة.[١]

الفصل السادس : الفرق بين الزهد والتصوف .

إن الزهد عبارة عن : ترجيح الآخرة على الدنيا ، **والتصوف** اسم لترك الدنيا تماما ، والزهد هو تجنب الحرام ، والاقتصاد في الحلال ، والتمتع بنعم الله بالكفاف ، وإشراك الآخرين في آلاء الله ونعمه وخدمة الأهل والأخوان والخلان .

والتصوف تحريم الحلال ، وترك الطيبات ، والتهرب من الزواج ومعاشرة الأهل والإخوان ، وتعذيب النفس بالتجويع والتعري والسهر .

فالزهد منهج وسلوك مبني على الكتاب و السنة ، وليس التصوف كذلك ، لذلك ؛ فعندما نتحدث عن هذا المذهب أي: مذهب التصوف لا عن الزهد ، لأن الزهد كما ورد في حديث الترمذي (ليس الزهد بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ولكن الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق بما في يدك ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك)[٢] لأن الله تعالى يقول :﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٣

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف [٣].

---

[١] - دراسات في التصوف والفلسفة (١ / ٢٣).

[٢] - سنن الترمذي (٤ / ٥٧١ح٢٣٤٠)، وقال الألباني : ضعيف جدًا.

[٣] - تلبيس إبليس (١ / ١٤٩)، التصوف .. المنشأ والمصادر (١ / ٧) إحسان إلهي ظهير.

الفصل السابع : مصطلحات الصوفية .

اعلم أنّ ألفاظ الصوفية وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم، ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق، ونازل ما هم عليه رجع عنهم خاسئا وهو حسير ، ومن مصطلحاتهم :

١- مصطلح الرؤية

ومن ذلك إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد فقال: كثيرا ما يقولون: رأيت الله، وذُكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل هل رأيت الله حيث عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره العيون بتحديد العيان، ولكن رأته القلوب بتحقيق الإيقان. ثم قال: يُرى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة فينا.

بمعنى كأنه يقول: إن الصوفية لديهم مصطلحات يختلف معناها الحقيقي عما يظهر منها، لكن يقال: **يمكن أن يسلم هذا للمتقدمين ممن كان تصوفهم أميل إلى الاعتدال، وهو عبارة عن الزهد فقط**.

أما المتأخرون فلا يسلم لهم ذلك -وإن زعموه-؛ لأن كلامهم وكتبهم تأبى أن يكون لها معنى غير هذه المعاني الباطلة، كما هي الحال مثلا في "فصوص الحكم" لابن عربي، و"الفتوحات المكية"، وكتب الحلاج وكتب ابن سبعين وكتب السهروردي وكل هؤلاء المتأخرين؛ فإنها تفوح بالإلحاد والضلال، ولا يسلم لهم أن هذه رموز ومصطلحات؛ لأنها أمور لا تحتمل إلا هذه المعاني الباطلة[١].

وهذا ما ذكره ابن القيم في قضية معاينة القلب، وهي أن تنكشف صورة المعلوم له بحيث تكون نسبته إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين، ولهذا يقول ابن القيم: "وقد جعل الله سبحانه القلب يبصر ويعمى كما تبصر العيون وكما تعمى قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ **الحج: ٤٦** فالقلب يرى ويسمع ويعمى ويصم، وعماه وصممه أبلغ من عمى البصر وصممه"، ثم ذكر أن مشاهدة القلب لجلال الرب وجماله وكماله وعزه وسلطانه وقيوميته وعلوه فوق عرشه وتكلمه بكتبه، وذكر شيئا من نعوته وصفاته.

---

[١] - شرح الفتوى الحموية (١ / ٤٥٥-٤٥٦)

ثم قال: "فصاحب هذا الشاهد سائر إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه، وفطره وصيامه، له شأن وللناس شأن آخر".[١] الشاهد أنه يقول: إن الإنسان كلما ازداد علما وكلما ازداد معرفة بالله – عز وجل – كلما قوي إيمانه، وكلما انفتحت له من أبواب الإيمان وأبواب المشاهدة التي لا تنفتح لغيره، لكن لا يُسلَّم هذا التأويل للمتأخرين من الصوفية لماذا؟ لأن المتأخرين أطلقوا عبارات لا تحتمل إلا المعنى الباطل، يعني عندما يقول قائلهم إنه يجلس مع الله، ويسامر الله، ويصافح الله، ويعانق الله، ويسمع من الله كفاحا بلا واسطة –كما سيأتي–، فهل هذا له احتمال آخر؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لكن أيضا أبو عبد الله ابن خفيف يؤكد على هذا المعنى: أن المتأخرين من أهل هذه الطائفة –التي هم الصوفية– أدخلوا في هذا المذهب ما أفسده ونقله إلى الحلول والإلحاد[٢] .

٢-(التواجد)

التواجد أيضا من مقامات الصوفية، ومصطلح من مصطلحات الصوفية، وهو: يقولون من وَجَدَ وَجْدا أو وِجْدا، بالفتح يعني الحب وبالكسر يعني الحزن، عندهم التواجد عند الصوفية استجلاب الوجد بالذكر والتفكر، يجتمعون وإما أن يغنوا ويرقصوا ويطربوا أو يقومون يرددون بعض الأذكار جماعيا أو حتى فرديا ذكر مخصوص، يزعمون أنهم يستجلبون بذلك –تعالى الله– الروح الإلهية، وأنهم يرتفعون عن هذا العالم، ويحلقون عن هذا الوجود إلى عالم آخر.

ولهذا أحيانا عن طريق هذا الوجد يصلون إلى حالة ما يسمى (الإسطيلان) السكر مصطلحات صوفية، يغيب الواحد عن الحالة الموجودة والناس الموجودين، ويعيش في عالم آخر حتى أحيانا يزعم أنه خلاص الآن بدأ يعيش مع الحضرة الإلهية، وكل هذا مما لبس به الشيطان على هؤلاء.[٣]

[١] - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣ / ٢٥٣).

[٢] - الفتوى الحموية مع شرحها (١ / ٤٧٤).

[٣] - الفتوى الحموية مع شرحها (١ / ٤٧٧).

٣– الفناء

أرادوا بالفناء نفي حقائق الأشياء، وجعلوها خيالا وسرابا على ما هو مذهب السوفسطائية .
والفناء عندهم عبارة عن اضمحلال الكائنات في نظرهم مع وجودها، وعن الغيبة عن نسبة أفعالهم إليهم، وكذا الوحدة المطلقة عبارة عن مشاهدة الله –لا غير– من بين الموجودات لاضمحلالها مع تحققها ووجودها عند ظهور أنوار التجليات، كاضمحلال الكواكب مع وجودها عند ظهور نور الشمس في النهار، فإن كان العارف في هذه الحال يرى نفسه، فذلك هو الفناء في التوحيد، وهو مرتبة الخواص، وهو مشوب بكدورة وقصور، وإن غاب مع ذلك عن مشاهدة نفسه وعن أحواله الظاهرة والباطنة وعن ذلك الفناء –بحيث لا يشاهد شيئا غير الله كما لا يشاهد في النهار من الكواكب غير الشمس– فذلك هو فناء الفناء في التوحيد، وهو درجة خواص الخواص، فيصير لهم معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ **القصص: ٨٨**[١]

٤– الفقر

وقد لبس إبليس على الصوفية ، فمنهم من يظهر الفقر وهو غني فان أضاف إلى هذا السؤال والأخذ من الناس فإنما يستكثر من نار جهنم . فعن أبي هريرة– رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل منه أو ليستكثر" [٢]وإن لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئا وكان مقصوده بإظهار الفقر أن يقال : رجل زاهد فقد راءا وإن كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق ففي ضمن بخله الشكوى من الله.
فالمحتسب له كتمان الفقر وإظهار التجمل فقد كان في السلف من يحمل مفتاحا يوهم أن له دارا ولا يبيت إلا في المساجد.
ومن تلبيس إبليس على الفقراء : أنه يرى نفسه خيرا من الغني إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغني فيه وهذا غلط وأن الخيرية ليست بالوجود والعدم وإنما هي بأمر وراء ذلك.[٣]
وعليه فالصوفية يجعلون الفقر مرتبة من مراتبهم ، ولهذا سئل سهل بن عبد الله التستري عن الفقير الصادق فقال: هو من لا يسأل ولا يرد ولا يحدث.

---

[١] - مصرع التصوف (١ / ١٨٦–١٨٩) إبراهيم بن عمر البقاعي .
[٢] - صحيح مسلم (٣ / ٩٦ح٢٤٤٦) .
[٣] - تلبيس إبليس (١ / ٣٥١)

وقال ابن الجلاء: الفقر ألا يكون لك، فإذا لك فلا يكون لك حتى تؤتيه. فمصطلح الفقير أو مسمى الفقير هذه مرتبة من مراتب الصوفية.

يقول: إذا احتاج وصبر ولم يتكلف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى ممن عجز عن الصبر.

لا شك أن الفقر ليس مطلوبا لذاته وليس بمستحسن بالنظر إليه كصفة، بل هي حكاية واقع حادث، والنبي – ﷺ– لم يتمنَ الفقر. هذا ما غلط فيه الصوفية، ولا شك أن الغني المنفق نفعه أكثر من نفع هذا الفقير المعدم.

الغني المنفق في سبيل الله – عز وجل – أثره في الأمة وأثره على المسلمين أحسن حالاً من هذا الفقير يقول: على هذا الفقير أن يصبر حتى يفتح الله – عز وجل – له فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله – ﷺ– : وذلك لأن –النبي ﷺ– قال من حديث أبي هريرة:(والذي نفسي بيديه لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه) [١].

فالتكفف عما في أيدي الناس والضرب في الأرض وفعل الأسباب هذا هو الأمر يقول، ونقول: إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط مرسومة من التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس.

ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح فهو مجنون في الحقيقة خارج عن الطريقة الصوفية ولا شك أن أهل التصوف يرون أن الجلوس وترك التكسب أن هذا أمر . وأمر مطلوب وهذا خطأ ولهذا أنكر عمر –رضي الله عنه– على أولئك الذين جلسوا في المسجد يتعبدون انقطعوا للعبادة فسألهم أو سأل من أين لهم الرزق؟

قالوا: هؤلاء المتوكلون على الله، فضربهم –رضي الله عنه– بالدرة، وقال: هؤلاء المتواكلون، سمعت النبي – ﷺ– يقول: "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا"[٢] هذا هو التوكل الصحيح، وهذا هو التوكل الشرعي.

التوكل مع فعل السبب وليس بترك الأسباب.

فكون هؤلاء يجلسون بالمساجد أو يجلسون في الزوايا يسألون الناس يتكففون الناس ويزعمون أنهم منقطعون للعبادة وأنهم تركوا التكسب وطلب الرزق زهدا في الدنيا، يقال لهم: ليس هذا هو الأمر المشروع بل الأمر المشروع البيع والشراء، نعم من الطرق المباحة، وفعل الأسباب.[١]

---

[١] – صحيح البخاري (٣ / ٧٥ح٢٠٧٥)

[٢] – سنن الترمذي (٤ / ٥٧٣ح٢٣٤٤) ، وصححه الألباني ، سنن ابن ماجة (٥ / ٢٦٦ح٤١٦٤) .

الفصل الثامن : مصادر التلقي عند الصوفية .

إنَّ مصادر التلقي في التشريع عند المسلمين هو {**الكتاب والسنة والإجماع والقياس**}.وأمّا **مصادر التلقي عند المتصوفة** فإنّ تشريعاتهم تقوم على المنامات والخضر والجن والأموات والشيوخ، وكل هؤلاء مشرعون، ولذلك تعددت طرق التَّصوف وتشريعاته، بل قالوا: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، فلكل شيخ طريقة ومنهج للتربية، وذكر مخصوص وشعائر مخصوصة، وعبارات مخصوصة، ولذلك فالتَّصوف آلاف الأديان والعقائد والشرائع، بل مئات الآلاف وما لا يحصى، وكلها تحت مسمّى التَّصوف، وهذا هو الفارق الأساسي بين الإسلام والتَّصوف، فالإسلام دين محدد العقائد، محدد العبارات، محدد الشرائع. والتَّصوف دين لا حدود ولا تعاريف له في العقائد أو الشرائع.

أولا: الكشف: ويعتمد الصوفية الكشف مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف، بل تحقيق غاية عبادتهم، ويدخل تحت الكشف الصوفي جملة من الأمور الشرعية والكونية منها:-

١-النبي صلى الله عليه وسلم:ويقصدون به الأخذ عنه يقظةً أو مناماً.

٢- الخضر عليه الصلاة السلام: قد كثرت حكايتهم عن تقياه، والأخذ عنه أحكاماً شرعية وعلوماً دينية، وكذلك الأوراد، والأذكار والمناقب.

٣- **الإلهام**: سواء كان من الله تعالى مباشرة، وبه جعلوا مقام الصوفي فوق مقام النبي حيث يعتقدون أن الولي يأخذ العلم مباشرة عن الله تعالى حيث أخذه الملك الذي يوحي به إلى النبي أو الرسول.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ فِي كِتَابِ "التَّذْكِرَةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ " : ذَهَبَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ إلَى أَنَّ الْمَعَارِفَ تَقَعُ اضْطِرَارًا لِلْعِبَادِ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْهَامِ بِحُكْمِ وَعْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِشَرْطِ التَّقْوَى ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ **الأنفال: ٢٩** أَيْ تُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ ﴾ **الطلاق: ٢** ،أَيْ مَخْرَجًا عَلَى كُلِّ مَا الْتَبَسَ عَلَى النَّاسِ وَجْهُ الْحُكْمِ فِيهِ ، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾

[1] - **شرح الفتوى الحموية (١ / ٤٧٨).**

البقرة: ٢٨٢ ،فَهَذِهِ الْعُلُومُ الدِّينِيَّةُ تَحْصُلُ لِلْعِبَادِ إذَا زَكَتْ أَنْفُسُهُمْ وَسَلِمَتْ قُلُوبُهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى ، بِتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ وَامْتِثَالِ الْمَأْمُورَاتِ ، إذْ خَبَرُهُ صِدْقٌ ، وَوَعْدُهُ حَقٌّ ، فَتَزْكِيَةُ النَّفْسِ بَعْدَ الْقَلْبِ لِحُصُولِ الْمُعَارَضَةِ فِيهِ بِطَرِيقِ الْإِلْهَامِ بِحُكْمِ وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ كَإِعْدَادِهِ بِإِحْضَارِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ فِيهِ مَعَ التَّفَطُّنِ لِوُجُوهِ لُزُومِ النَّتِيجَةِ عَقِيبَ النَّظَرِ لِقُدْرَةِ اللَّهِ اضْطِرَارًا ، وَلَا مَدْخَلَ لِلْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ فِيهِ وَأَمَّا حُصُولُ هَذِهِ الْمَعَارِفِ عَلَى سَبِيلِ إلْهَامِ الْمُبْتَدَأِ مِنْ غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ يَكُونُ مِنْ الْعَبْدِ ، فَأَحَدُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ غَيْرُ مُمْكِنٍ فِي الْعَقْلِ وَيَمْتَنِعُ فِي الْعَادَةِ وَمَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ مَدَارِكَ الْعُلُومِ الْإِلْهَامُ يَحْتَاجُ إلَى هَذَا التَّفْصِيلِ ، وَهُوَ غَلَطٌ فِي الْحَصْرِ إذْ لَيْسَ هُوَ جَمِيعُ الْمَدَارِكِ ، بَلْ مُدْرَكٌ وَاحِدٌ عَلَى مَا بَيَّنَاهُ وَتَأَوَّلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَوْلَهُمْ ، وَقَالَ : يُمْكِنُ أَنْ يُرِيدُوا أَنَّ الْعُلُومَ كُلَّهَا ضَرُورِيَّةٌ مُخْتَرَعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ،وَقَالَ الْإِمَامُ شِهَابُ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِي – رَحِمَهُ اللَّهُ – فِي بَعْضِ أَمَالِيهِ مُحْتَجًّا عَلَى الْإِلْهَامِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ **القصص: ٧** ،وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ **النحل: ٦٨** ،فَهَذَا الْوَحْيُ **مَجْرَدُ الْإِلْهَامِ** ، ثُمَّ إنَّ **مِنَ الْإِلْهَامِ** عُلُومًا تَحْدُثُ فِي النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ الْمُطْمَئِنَّةِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « **إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِى أُمَّتِى هَذِهِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** » [1] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ **الشمس : ٧ -٨** [2]

٤-**الفراسة:** والتي تختص بمعرفة خواطر النفوس وأحاديثها.

٥- **الهواتف:** من سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو الجن الصالح، أو من أحد الأولياء، أو الخضر، أو إبليس، سواء كان مناماً أو يقظةً أو في حالة بينهما بواسطة الأذن.

٦- **الإسراءات والمعاريج:** ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، وجولاتها هناك والإتيان منها بشتى العلوم والأسرار.

---

[1] - صحيح البخاري (٤ / ٢١١ح٣٤٦٩).

[2] - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١ / ٢٦).

٧- **الكشف الحسي**: بالكشف عن حقائق الوجود بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر[١].

يقول أبو حامد الغزالي – يرحمه الله – عن الصوفية:"إن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة، بل الطريق تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم...وانكشف له سر الملكوت....فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة. ويرى أبو حامد إن علوم الأنبياء والأولياء عن طريق المكاشفة، لا بالتعلم و الكتابة للكتب".

ويقول عبد الرحمن الجامي:"إنّ مستند الصوفية فيما ذهبوا إليه هو الكشف والعيان، لا النظر والبرهان. ويقول ابن عربي في رسالته إلى الفخر الرازي:"ارفع الهمة في أن لا تأخذ علما إلا من الله تعالى على الكشف، وأنه من المحال للعقل والفكر أن يصل إلى ما يطمئن إليه الإنسان في معرفة الله تعالى، وعليك أن تلزم طريق الرياضات والمجاهدات والخلوات".

ونقل –أيضًا– عن بعضهم كلمات فيها دلالة على إغفال مصادر التلقي (الكتاب والسنة) : من التزهيد في العلم والاستغناء عنه كقول من قال : نحن نأخذ علمنا من **الحي الذي لا يموت** وأنتم تأخذونه من **حي يموت** وقول الآخر وقد قيل له : ألا ترحل حتى تسمع من عبدالرزاق فقال : ما يصنع بالسماع من عبدالرزاق من يسمع من الخلاق، وقول الآخر : العلم حجاب بين القلب وبين الله عز وجل وقول الآخر : إذا رأيت الصوفي يشتغل بأ خبرنا وحدثنا فاغسل يدك منه وقول الآخر : لنا علم الحرف ولكم علم الورق ونحو هذا من الكلمات التي أحسن أحوال قائلها : أن يكون جاهلا يعذر بجهله أو شاطحا معترفا بشطحه وإلا فلولا عبدالرزاق وأمثاله ولولا أخبرنا و حدثنا لما وصل إلى هذا وأمثاله شيء من الإسلام ومن أحالك على غير أخبرنا و حدثنا فقد أحالك : إما على خيال صوفي أو قياس فلسفي أو رأي نفسي فليس بعد القرآن و أخبرنا وحدثنا إلا شبهات المتكلمين وآراء المنحرفين وخيالات **المتصوفين** وقياس المتفلسفين ومن فارق الدليل ضل عن سواء السبيل ولا دليل إلى الله والجنة سوى

---

[١] - دراسات في التصوف والفلسفة (١ / ٣٠) صالح الرقب .

الكتاب والسنة وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم والشيطان الرجيم والعلم ما قام عليه الدليل والنافع منه : ما جاء به الرسول و العلم خير من الحال : العلم حاكم و الحال محكوم عليه، والعلم هاد والحال تابع والعلم آمر ناه والحال منفذ قابل والحال سيف إن لم يصحبه العلم فهو مخراق في يد لاعب ، الحال مركب لا يجارى فإن لم يصحبه علم ألقى صاحبه في الممالك والمتالف والحال كالمال يؤتاه البر والفاجر، فإن لم يصحبه نور العلم كان وبالا على صاحبه، الحال بلا علم كالسلطان الذي لا يزعه عن سطوته وازع ،الحال بلا علم كالنار التي لا سائس لها نفع الحال لا يتعدى صاحبه ونفع العلم كالغيث يقع على الظراب والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر دائرة العلم تسع الدنيا والآخرة ودائرة الحال تضيق عن غير صاحبه وربما ضاقت عنه[١].

ثانيا:الذوق: وله إطلاقان:-

١- الذوق العام الذي ينظم جميع الأحوال والمقامات، ويرى الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال إمكان السالك أن يتذوق حقيقة النبوة، وأن يدرك خاصيتها بالمنازلة.

٢- الذوق الخاص فتتفاوت درجاته بينهم حيث يبدأ بالذوق ثم الشرب.

ثالثا:الوجد: وله ثلاثة مراتب:-

١- التواجد.

٢- الوجد.

٣- الوجود.

رابعاً: التلقي عن الأنبياء غير النبي ﷺوعن الأشياخ المقبورين[٢].

---

[١] - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٤٦٨) ، دراسات في التصوف والفلسفة (١ / ٣١).

[٢] - دراسات في التصوف والفلسفة (١ / ٣١) بتصرف .

الباب الثاني: موقف الصوفية من السنة النبوية

وفيه فصول ستة:

الفصل الأول : موقف الصوفية من الصحابة .

إن الرابط الكبير بين الصحابة رضي الله عنهم ، والصوفية هو الزهد في الدنيا ، إلا أن الصحابة الكرام كانت حياتهم وعبادتهم وفق ما رباهم عليه النبي ﷺ

وهذا العصر مليء بأخبار زهد الصحابة- رضي الله عنهم-، وأبرز رجال هذا الطور الخلفاء الراشدون ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ،وكذلك عبد الله بن عباس ، وأبو عبيدة رضي الله عنهم وغيرهم كثير فهم الذين كان يتنزل القرآن بين ظهرانيهم ويتلوه عليهم سيد البشر ﷺ قال تعالى﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥ [١]

بخلاف الصوفية الذين ترقى بهم الحال حتى وقع من وقع منهم في شطحات نأت بهم عن الهدي الصحيح .

نعم حاول الصوفية أن يكون موقفهم جليًا واضحًا في الاقتداء بصحابة النبي ﷺ حتى بادر ابن عربي للقول أن أبا بكر وعمر كانوا أقطابًا بالمعنى الصوفي. (ونقول حاشا الصحابة أن يدخلوا في هذا الزور والبهتان)[٢].

لم يكن التصوف معروفاً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ولا في عصر التابعين رحمهم الله ، وإن كانت حقيقته معروفة ، لأن جل ما يصبوا إليه المرء هو الانتساب إلى الصحابة رضي الله عنهم ثم إلى التابعين رحمهم الله وكفى بالمرءِ شرفاً أن ينتسب إلى النبي ﷺ وإلى أصحابه رضي الله عنهم بالإتباع.

وفي القرن الأول لم يكن يعرف اسم التصوف، بل كان أهله يعرفون باسم الزهاد والنساك والبكائين، وليس باسم الصوفية، وكان اعتقادهم صافياً وإيمانهم نقياً خالصاً وما كان ابتعادهم عن الدنيا إلا لارتياعهم من عذاب الآخرة، وهرعوا إلى الكهوف والمغاور ورؤوس الجبال حيث الوحدة الصافية والانعزال عن صخب الحياة المادية .

ثم بعد مضي عصر الصحابة والتابعين وفي أواخر القرن الثاني الهجري بدأ لفظ الصوفية يظهر ، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (١٦٤.٢٤١هـ) وأبو سليمان الداراني المتوفى سنة ٢١٥هـ وقيل : إن أول من بنى دويرة للصوفية

---

[١] - مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي (١ / ١٧).

[٢] - دراسات في التصوف والفلسفة (١ / ١٢٤) صالح الرقب.

هو بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد المتوفى بعد الخمسين ومائة للهجرة. وهو من أصحاب الحسن البصري وكان ذلك في البصرة (وإن أول من عرف باسم صوفي في المجتمع الإسلامي هو أبو هاشم الصوفي المتوفى قبل منتصف القرن الثاني الهجري) (ويقول عمر رضا كحالة ورد لفظ (الصوفي) لقباً مفرداً في النصف الثاني للهجرة إذ نعت به جابر بن حيان الكوفي وأما صيغة الجمع (الصوفية) فإنها ظهرت فيما انتهى إليه عمر رضا كحالة عام ١٩٩هـ)[١]

ومهما ادعى الصوفية من المزاعم في اتباع الصحابة– رضي الله عنهم – وما هم عليه إلا أن المتأخرين منهم جانبوا ما عليه الصحابة من الإيمان العميق تجاه القرآن العظيم ، ومن ذلك أن الله سبحانه يصف كتابه بأنه بيان للناس، ويمن علينا بأنه بعث في الأميين رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، **والصوفية** يزعمون أن القرآن أشار إلى علم الحقيقة عن طريق الرمز والتلويح، وما كل الناس يفهمون الدلالة الرمزية، أو التلويحية، وما كل أمي يفهمها، وهذا يستلزم طامتين، الأولى: اتهام القرآن بالعجز في البيان عن الحقيقة، فلم يستطع الإفصاح عنها إلا عن طريق الرمز والتلويح، وهما أغمض وأعجز أنواع الدلالات، والأخرى: اتهام الأكثرية الغالبة من هذه الأمة بأنها لا تعلم الحقيقة من دينها الحق، ولا يعبدون الله على بصيرة من الحق، **بل ينسحب هذا الاتهام على الصحابة–رضي الله عنهم– أجمعين،** ، فإن قيل: كانوا يعرفون علم الحقيقة في زعم الصوفية، نقول: أين الدليل؟ أجاء عن أحد منهم افتراء أن الدين حقيقة وشريعة مغايرا بين القسمين؟ أتكلم واحد منهم عن الفناء، وفناء الفناء، والوحدة المطلقة، وهذه هي معارف علم الحقيقة عند الصوفية؟ بل أقول: إن في قول البخاري[٢] ومن دان دينه من الصوفية اتهاما للرسول ﷺ ببهتانين، أولهما: كتمان علم الحقيقة في الدين، أو الجانب الأسمى منه، إذ لم يرد فيما بلغ إلينا عن الله هذا العلم الذي يدعيه البخاري(الصوفي): علم الفناء، وفناء الفناء، ومعاينة الذات!! وآخرهما: أنه كان –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لا يعلم الحقيقة، ولم يهتد إلى ما اهتدى إليه البخاري وغيره. واتهام الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بوهم من هذا [٣].

قلت: وهذا في غاية الحماقة والاعتداء على مقام سيد الخلق ﷺ.

---

[١] - مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي (١ / ١٦).

[٢] – **وهو أحد أئمة الصوفية ،كان يتحدث عنه البقاعي ، وليس المقصود به صاحب الصحيح .**

[٣] **- مصرع التصوف (١ / ١٩٤)بتصرف.**

الفصل الثاني : موقف الصوفية من شرح السنة .

مما ينبغي أن يكون متقررًا في الذهن : أن كل صاحب بدعة ، سيقف مع النصوص مختارًا ما يرى أنه مؤيدًا لبدعته ، وذلك من خلال متشابه النصوص ، أو تأويل ينتحله هو من عند نفسه ، ولا يقف هذا التقرير عند طائفة دون أخرى أبدًا ، فكان بعض أصحاب هذه البدع إذا هوي شيئًا جعل له من النصوص ما يؤيد بدعته ، وبطبيعة الحال فإن الصوفية الضالون سيكون موقفهم بارزًا جليًا تجاه شرح السنة ، وأن طريقتهم في شرحها كغيرهم من الطوائف الأخرى ، فإذا كان التجرؤ من الصوفية على القرآن ظاهرًا ، فكيف سيكون الحال – أيضًا – تجاه سنة النبيﷺ؟!

وعلى سبيل المثال انظر إلى صاحب كتاب (الفصوص) وهو يقف أمام نص من القرآن ، قال في الفص النوحي في أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام، التحريف الذي يكفر الإنسان بأدنى شيء فيه:{وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا} [نوح: ٢٤] أي: حيروهم في تعداد الواحد {وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ} المصطفين الذين أورثوا الكتاب، فهم أول الثلاثة {إِلَّا ضَلالًا} إلا حيرة، فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب، فلا يبرح منه، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ما هو فيه، صاحب خيال إليه غايته، وله "من" و"إلى" وما بينهما، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له، فيلزمه "من" ولا غاية له، فيحكم عليه "إلى" فله الوجود الأتم، وهو المؤتى جوامع الكلم والحكم" وقال: {وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا} [نوح: ٢٢] لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو؛ لأنه ما عدم من البداية، فيدعى إلى الغاية، ادعوا إلى الله، فهذا عين المكر [١].

ومن الواضح في كتبهم – أيضًا – عدم عنايتهم بانتقاء الأسانيد في نقل مروياتهم ، فلا يقتصرون على إيراد الضعيف فحسب ، بل يحتجون حتى بالأسانيد الواهية جدًا ، بل أسانيد الرواة المتهمين ، مثل إسناد (محمد بن مروان ، عن محمد بن السائب الكلبي)[٢] .

قال الذهبي عن أبي الليث السمرقندي:(وَتَرُوجُ عَلَيْهِ الأَحَادِيثُ الموضُوعَةُ)[٣]

---

١ – مصرع التصوف(٢ / ٢١٨).

٢ – **بحر العلوم (١/١) لأبي الليث نصربن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٣هـ).**

٣ – **سير أعلام النبلاء (٣١ / ٣٧٧).**

وكذا يستدل بالرؤى والمنامات في تصحيح بعض ما يختاره من وجوه التفسير من ذلك قوله: سمعت أبي يحكي بإسناده عن أبي عبد الله ، محمد بن شجاع البلخي يقول : كنت أقرأ بقراءة الكسائي { مالك يَوْمِ الدين } بالألف ، فقال لي بعض أهل اللغة : الملك أبلغ في الوصف ، فأخذت بقراءة حمزة وكنت أقرأ { مالك يَوْمِ الدين } ، فرأيت في المنام كأنه أتاني آت فقال لي : لم حذفت الألف من مالك؟ أما بلغك الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اقْرَؤُوا القُرْآنَ فَخْماً مُفَخَّماً " ، فلم أترك القراءة ب : «ملك» حتى أتاني بعد ذلك آت في المنام فقال لي : لم حذفت الألف من مالك؟ أما بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَناتٍ ، فَلِمَ نقّصت من حسناتك عشراً في كل قراءة؟ فلما أصبحت ، أتيت قطرباً وكان إماماً في اللغة فقلت له : ما الفرق بين ملك ومالك؟ فقال : بينهما فرق كثير . فأما ملك فهو ملك من الملوك ، وأما مالك فهو مالك الملوك . فرجعت إلى قراءة الكسائي [1].

ومن كتبهم – أيضًا – والتي تموج بالبدع كتاب (**عوارف المعارف**) .

وفي هذا الكتاب بدع وضلالات ، وجهر بالتصوف ، ورفع لمقام المتصوفة ، واحتجاج بالنصوص من الكتاب والسنة على شأن الصوفية ورفع مقام أهلها.

يقول المؤلف :(واعلم أن كل حال شريف نعزوه إلى الصوفية في هذا الكتاب هو حال المقرب، والصوفي هو المقرب، وليس في القرآن اسم الصوفي، واسم الصوفي ترك ووضع للمقرب على ما سنشرح ذلك في بابه. ولا يعرف في طرفي بلاد الإسلام شرقاً وغرباً هذا الاسم لأهل القرب، وإنما يعرف للمترسمين، وكم من الرجال المقربين في بلاد المغرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية، لأنهم لا يتزيون بزي الصوفية، ولا مشاحة في الألفاظ فيعلم أنا نعني بالصوفية المقربين، فمشايخ الصوفية الذين أسماؤهم في الطبقات وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا في طريق المقربين وعلومهم علوم أحوال المقربين، ومن تطلع إلى مقام المقربين من جملة الأبرار فهو متصور ما لم يتحقق حالهم، فإذا تحقق بحالهم صار صوفياً، ومن عداهما ممن تميز بزي ونسب إليهم فهو متشبه: {وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليم}[2].

---

[1] – بحر العلوم (١ / ٣)

[2] – عوارف المعارف (١ / ١٣) لأبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي.

وانظر إلى ما قاله في {الباب الثاني}: **في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع.**

وما يستدل به من الآيات والحديث لما بوب له : فساق بإسناد إلى

زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله يقول: "نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ وَلَيْسَ بِفَقِيهٍ". أساس كل خير حسن الاستماع، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ **الأنفال: ٢٣** ورأوا كلام رسول الله . الذي لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . من عند الله تعالى يتعين الاستماع إليه؛ فكان من أهم ما عندهم الاستعداد للاستماع، ورأوا أن حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبوت والرهبوت ورأوا أن الوسواس أدخنة ثائرة من نار النفس الأمارة بالسوء، وقتام يتراكم من نفث الشيطان، وأن الحظوظ العاجلة والأقسام الدنيوية التي هي مناط الهوى ومثار الردى بمثابة الحطب الذي تزداد النار به تأججاً ويزداد القلب به تحرجاً، فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها، فلما انقطعت عن نار النفس أحطابها وفترت نيرانها وقل دخانها، شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم، فهيؤوا مواردها بصفاء الفهوم، فلما شهدوا سمعوا **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ **ق: ٣٧**.

أنعى إليك قلوباً طالما هطلت سحائبُ الوحي فيها أبحر الحِكَمِ[١].

إلى أن قال :(وقال بعضهم: لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله تعالى والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس، فلا يشتغل بغيره ولا يركن إلى سواه، فقلب الصوفي مجرد عن الأكوان ألقى سمعه وشهد بصره، فسمع المسموعات وأبصر المبصرات وشاهد المشهودات، لتخلصه إلى الله تعالى واجتماعه بين يدي الله والأشياء كلها عند الله وهو عنده، فسمع وشاهد فأبصر وسمع جملها ولم يسمع ويشاهد تفاصيلها، لأن الجمل تدرك لسعة عين الشهود، والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود، والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل)[٢].

---

[١] – كتاب عوارف المعارف (١ / ١٤) للسهروردي .

[٢] – عوارف المعارف (١ / ١٦) .

ثم يتبع كلامه قائلاً :(ومثل الذي وقع في أرض طيبة مثل المستمع الذي ينوي عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه، وهذا الذي جانب الهوى وانتهج سبيل الهدى هو الصوفي، لأن للهوى حلاوة، والنفس إذا تشربت حلاوة الهوى فهي تركن إليه وتستلذه، واستلذاذ الهوى هو الذي يخنق النبت كالشوك، وقلب الصوفي نازله حلاوة الحب الصافي، والحب الصافي تعلق الروح بالحضرة الإلهية. ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الإلهية بداعية الحب تستتبع القلب والنفس، وحلاوة الحب للحضرة الإلهية تغلب حلاوة الهوى لأن حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار لكونها لا ترتقي عن حد النفس، وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء لأنها متأصلة في الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة في أرض النفس، فإذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفديها بكليته ويقول:

أشمُّ منكَ نَسيماً لست أعرفه   أظن لمياء جرت فيك أردانا

فتعمه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعاً وكل ذرّة منه بصراً، فيسمع الكل بالكل، ويبصر الكل بالكل ويقول:

إن تأملتكم فكلي عيونُ   أو تذكرتكم فكلي قلوبُ[١] .

ثم يقول في شأن المريدين تجاه الشيوخ :(واعلم أن للمريدين مع الشيوخ أوان ارتضاع وأوان فطام، وقد سبق شرح الولادة المعنوية، فأوان الارتضاع أوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك، فلا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ إلا بإذنه. قال الله تعالى تأديباً للأمة: قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ النور: ٦٢ [٢].

---

[١] – عوارف المعارف (١ / ١٧).

[٢] – عوارف المعارف (١ / ٨٥).

ومن كتبهم "كتاب نوادر الأصول من أحاديث الرسول" (لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي) (٣٢٠هـ).

يقول في* الأصل السابع * في ترجيح الرجاء على القنوط

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (الفاجر الراجي لرحمة الله تعالى أقرب منها من العابد)[١]

المقنط لجهله بالله بعد من رحمة الله وإنما رجاء العبد بالله على قدر معرفته بالله وعلمه بجوده وكرمه والقنوط من الجهل ألا يرى إلى قوله تعالى " و من يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ".

والمقنِّط إنما يقنط غيره لقنوطه فهو ضال عن ربه وما تغني العبادة مع الضلالة؟ **قَالَ تَعَالَىٰ:**

﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧

واليأس من روح الله في الدنيا عند النوائب والكربات من سوء الظن

بالله تعالى ومن ساء ظنه بالله انقطع عن الله تعالى و تعلق بخلقه واستعاذ بالحيل ولا يلجأ إلى ربه ، وكذلك القانط من رحمته قلبه متعلق بالجهد من الأعمال طالبا للنجاة بها وإذا فكر في ذنوبه ألقى بيديه نفسه إلى التهلكة ورفض العمل .

و روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه سئل عن القنوط فقال: ترك فرائض الله في السر معناه إذا تراكمت عليه الذنوب أيس من نفسه فرفض الكل وقال: قد استوجبت النار. وقد كان وقع عندي بعض من رزقة الله الإنابة فجعل يصوم فقلت له : ما هذا قال صوم شهر رمضان قلت: أو لم تكن تصومه قال :لا قلت : لم قال :كان أصحابي لا يصومونه قلت: وهم في الكورة معنا قال:نعم قلت: وما حملهم على ذلك قال: كانوا يقولون: عملنا هذه الأعمال من سفك الدماء وأخذ الأموال وسائر المعاصي فما يغني عنا الصوم والصلاة، وكانوا لا يصومون رمضان ولا يصلون المكتوبات إلا على أعين الناس يقولون قد استوجبنا النار فقلت: هؤلاء قوم أدركهم سخط الله فقنطوا من رحمته .

عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : خرج من عندي خليلي جبرائيل عليه السلام آنفا فقال لي: يا محمد والذي بعثك بالحق إن لله تعالى لعبدا من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج الله تعالى له عينا بعرض

[١] - (موضوع) انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير (١٨ / ١٠٠) حديث رقم : (٤٠٢٢)

الإصبع تبض بماء عذب فيستنقع في أسفل ذلك الجبل وشجرة رمانة تخرج كل ليلة رمانة فتغذيه يوما فإذا

أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة وأكلها، ثم قام لصلاته فسأل ربه – عز وجل– عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدا وأن لا يجعل للأرض ولا شيء لشيء عليه يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه ساجدا ففعل ذلك فنحن نمر به إذا هبطنا وإذا عرجنا ونجد في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الرب عز وجل أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول بل بعملي يا رب فيقول أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول بل بعملي يا رب فيقول للملائكة قايسوا عمل عبدي بنعمي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعم الجسد فضلا عليه فيقول أدخلوا عبدي النار فينادي يا رب برحمتك أدخلني الجنة فيقول ردوه فيوقف بين يديه فيقول يا عبدي من خلقك ولم تك شيئا فيقول : أنت يا رب فيقول:أفكان ذلك من قبلك أم برحمتي فيقول : بل برحمتك فيقول من قواك لعبادتي خمسمائة سنة؟ فيقول أنت يا رب فيقول من أنزلك في جبل وسط البحر وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما تخرج الشجرة في السنة مرة؟ وسألتني أن أقبضك ساجدا ففعلت ذلك بك ، فيقول : أنت يا رب، فيقول: فذلك رحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة ، أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فنعم العبد كنت يا عبدي فأدخله الله الجنة ، قال جبرائيل عليه السلام إنما الأشياء برحمة الله تعالى يا محمد [١].

عن زيد بن أسلم قال : قال : ﷺ : (إنه ليس أحد منكم ينجيه عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)[٢]

و هذا الذي سأل رسول الله ﷺفقال: ولا أنت كان أيضا في عمى[١] من هذا الأمر فإن الله تعالى من عليه بالنبوة وشرح الصدر وكل ذلك رحمة منه قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن

---

[١] – ضعيف ، وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٣ / ٣٣١)

[٢] - عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا ، وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : لاَ ، وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ.

صحيح البخاري (٧ / ١٥٧) وفي حديث عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– عند مسلم (٨ / ١٤١) :أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ ». قَالُوا وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِىَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ ».

يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ القصص: ٨٦. [٢]

الفصل الثالث : موقف الصوفية من إسناد الحديث .

هناك فرق بيّن واضح بين الصوفية الأوائل ، عمن أتى بعدهم ، فلقد كان الأولون منهم ممن كان يذهب مذهب الزهد والتقشف في أمور الدنيا له عناية بالسنة ، ويحرص على نظافة المصدر لحديث النبي ﷺ وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وإنما لبس الشيطان على بعضهم لقلة علمهم يقول الجنيد : قال أبو سليمان الداراني قال ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة.

وهذا الجنيد وهو من أصحاب الطريقة يقول : (مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة وقال أيضا علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به)، وقال –أيضا–:(ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا) [٣].

ونحن لانوافق الجنيد رضي الله عنه في كل ما يقول و ولكن نستفيد من كلامه الفرق بين ما كانوا عليه من اتباع الكتاب والسنة ، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري.

وكان أبو عثمان سعيد بن إسماعيل النيسابوري، من جلة شيوخ القوم وعارفيهم وكان شديد الوصية باتباع السنة وتحكيمها ولزومها ،ولما حضرته الوفاة مزق ابنه قميصا على نفسه، ففتح أبو عثمان عينيه وهو في السياق فقال : يا بني خلاف **السنة** في الظاهر علامة رياء في الباطن [٤].

---

[١] – قلت هذه الكلمة منه – رحمه الله – غير جيدة في حق صحابي من صحابة المصطفى ﷺ ، فلو عبر بغيرها ؛ لكان أفضل .

[٢] – نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١ / ٩٣-٩٦) وسيأتي في الفصل الثالث إشارة إلى وضع كتاب [نوادر الأصول] من حيث أسانيده وتساهله في إيراد أحاديث لا أصل لها ، والله المستعان .

[٣] – تلبيس إبليس (١ / ١٥١)

[٤] – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٤٤٧).

أما المتأخرون [1]منهم ممن كان يذهب إلى اتباع ما تهواه نفسه ، أو تمليه عليه خواطره التي اتخذها الشيطان له مسكناً ، وأصبح يتكلم عن العلم الظاهر والباطن غير مهتم بسلامة المنقول ، ويتحدث بأشياء يستحي أصحاب العقول السليمة من ذكرها، فجاء أبو عبد الرحمن السلمي، فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير ،فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم، وإنما حملوه على مذاهبهم .

وصنف لهم أبو طالب المكي(٣٨٦هـ) (قوت القلوب) فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع [2].

وما صنفه الترمذي فكأنه ابتداءً شرّع برأيه الفاسد ، فما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة ، وما فائدة قطع الفواكه المباحة وإذا لم ينظر في الكتب فبأي سيرة يقتدي وأما **الأربعينية** فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له : من أخلص لله أربعين صباحا لم يجب الإخلاص أبدا ،فما وجه تقديره بأربعين صباحا، ثم لو قدرنا ذلك فالإخلاص عمل القلب فما بال المطعم ؟!!![3]

ولم يكتف أهل هذا المنهج من المتصوفة بالتنفير من علم الشريعة والحديث بل جعلوا كشفهم، وما يزعمون نقله من العلم عن الله تبارك وتعالى حاكما على إسناد الحديث فيصححون ما شاءوا من الأحاديث، وإن كانت ضعيفة عند علماء الحديث والسنة، ويضعفون ما شاءوا منها، وإن كانت ثابتة صحيحة حسب الموازين العلمية الدقيقة التي تعارف عليها علماء الحديث ومصطلحه، والتي هي بحق مفخرة الإسلام، فليس عند أمة من أمم الأرض قديمًا وحديثًا تثبت في النقل على النحو الذي درج عليه علماء هذه الأمة في التعرف على الحديث الصحيح من الضعيف، وبذلك ولله الحمد سلم دين الأمة من دخول أقوال الزنادقة والملاحدة فيه .

---

[1] – الذي يظهر لي من أتى منهم بعد القرن الثالث ، والله أعلم .

[2] – وانظر تلبيس إبليس (١ / ١٤٨) بتصرف .

[3] المصدر السابق(١ / ١٩٥) =

روي عن أبي أيوب: (من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)

انظر الجامع الصغير وزيادته (١ / ١٢١٥) ، وقال عنه الألباني : ضعيف .

لقد عمد رؤساء المتصوفة إلى **هدم الإسناد في الحديث**، وهو مفخرة الإسلام بحق، وذلك عن طريق الحكم على الإسناد بعلمهم الخاص . يقول ابن عربي في رسائله : " وربما قالوا (أي علماء الشريعة) إذا عاينوهم (أي عاينوا علماء الصوفية) يتكلمون بمواجيدهم مع أصحابهم : دين مكتوم، دين مشؤم، وما عرفوا جهات الدين . وهؤلاء ما تكتموا بالدين فقط، وإنما تكتموا بنتائجه، وما وهبهم الحق تعالى في طاعته حين أطاعوه، وبما صح عندهم من أحاديث الأحكام ما اتفق على ضعفه، وتجريح نقلته، وهم أخذوه عن الكشف[١] ، ومراد ابن عربي هنا بالكشف الاتصال بالرسول، ومعرفة الحديث منه رأسًا عن قائله صحيحا، فتعبدوا به أنفسهم على غير ما تقرر عند علماء الرسوم، فينسبونهم إلى الخروج عن الدين، وما أنصفوا فإن للحق وجوهًا يوصل إليه منها هذا أحدها، ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه، وليس بصحيح عندهم من طريق الكشف، ويتركون العمل به مثل ذلك سواء " [٢].

ومن هذا يتبين الفرق بين الصوفية المتقدمين منهم عن المتأخرين ممن يزعم هذا الزعم .

الفصل الرابع : صوفية أهل الحديث .

عندما يتأمل المتأمل في تراجم السلف الصالح وأعني أهل الحديث منهم خاصة ، فإننا نجد في تراجم هؤلاء قومًا ليسوا بالقليل أبدًا ممن نُصَّ في تراجمهم على أنهم كانوا أهل تصوف ، ولكن السؤال الذي ينبغي أن يتبادر إلى الذهن

ماهو التصوف الذي كانوا ينتحلونه ، حتى اكتسبوا منه هذه النسبة ؟!

أهو عبارة عن تلك الإشارات والهمهمة التي يدعيها كبار الصوفية أصحاب الشطحات والضلالات ؟ أم أنه نوع من التصوف الذي نسب إليهم بمفهومه السائغ عند أهل الحق والإنصاف ، مضبوطًا بضابط الكتاب والسنة؟

والذي يظهر – والعلم عند الله – أن كلا النوعين موجود ، ولكن تختلف حال كل نوع بحسب المشرب الذي استقى منه صاحبه ، فهناك ممن كان يسمى بالصوفي ، وله أحاديث في الصحاح والسنن ، وهناك ممن سمي بالصوفي ولكنه زلت به القدم وحادت به عن طريق الحق وجادة السَنَن

---

[١] -: هو انكشاف حجاب القلب ورؤيته أشياء من الغيب زعم الصوفية أنه يحصل لهم .

[٢] - دراسات في التصوف والفلسفة (١ / ١١٠)

فانظر إلى الإمام الذهبي الناقد البصير ، يورد إسنادًا له في السير إلى أن قال فيه : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ الحَسَنِ الصُّوْفِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيْلُ بنُ مُجَالِدٍ، عَنْ بَيَانٍ، عَنْ وَبَرَةَ، عَنْ هَمَّامٍ، قَالَ:

قَالَ عَمَّارٌ: رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا مَعَهُ إِلاَّ خَمْسَةُ أَعْبُدٍ، وَامْرَأَتَانِ، وَأَبُو بَكْرٍ.

ثم قال –رحمه الله – : أَخْرَجَهُ: البُخَارِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ؛ شَيْخٌ لَهُ، يُقَالُ: هُوَ ابْنُ حَمَّادٍ الآمِلِيُّ.

وَقِيْلَ: عَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي الخُوَارِزْمِيُّ، عَنْ يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ.

وَهُوَ فَرْدٌ غَرِيْبٌ، مَا أَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ بَيَانِ بنِ بِشْرٍ سِوَى إِسْمَاعِيْلُ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ سِوَى البُخَارِيُّ.[١]

بل من هؤلاء ممن يقال له الصوفي ، رجال هم من طبقة صغار التابعين ، وهم حملة آثار ، ورواة حديث النبي ﷺ ويمثل على هؤلاء بعِمْرَانُ بنُ مُسْلِمٍ البَصْرِيُّ وقد رمز له الذهبي ب (خ، م، د، ت، س) ثم قال عنه :

القَصِيْرُ، الرَّبَّانِيُّ، العَابِدُ، أَبُو بَكْرٍ البَصْرِيُّ، **الصُّوْفِيُّ**.

رَوَى عَنْ: أَبِي رَجَاءٍ العُطَارِدِيِّ، وَإِبْرَاهِيْمَ التَّيْمِيِّ، وَعَطَاءٍ، وَابْنِ سِيْرِيْنَ، وَالحَسَنِ، وَنَافِعٍ.

وَقِيْلَ: رَوَى عَنْ أَنَسٍ.

وَعِدَادُه فِي صِغَارِ التَّابِعِيْنَ.[٢]

فمن المحدثين رجال نُسبوا إلى هذه الطائفة ، والحق الذي نعتقده في مثل رجال القرون الثلاثة أنهم من أهل العدل والحق والإنصاف – إن شاء الله –

إذ للسنة نور يستضيء به أهله، ويتبصر به طلبته ، وهذا في حق من كان الحديث صناعته ، والتنقل في حفظه وتنقيته ضيعتُه .

وأما من لم يشتغل بالكتاب والسنة ، فلا تفرح به ، وسل يدك من يده .

قال الذهبي: مَتَى رَأَيْتَ الصُّوْفِيَّ مُكبّاً عَلَى الحَدِيْثِ، فَثِقْ بِهِ، وَمَتَى رَأَيْتَهُ نَائِياً عَنِ الحَدِيْثِ، فَلاَ تَفرَحْ بِهِ، لاَ سِيِّمَا إِذَا انْضَافَ إِلَى جَهلِهِ بِالحَدِيْثِ عُكُوفٌ عَلَى تُرَّهَاتِ الصُّوْفِيَّةِ، وَرُمُوْزِ البَاطِنِيَّةِ - نَسْأَلُ اللهَ السَّلاَمَةَ - كَمَا قَالَ ابْنُ المبَارَكِ:

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّيْنَ إِلاَّ المُلُوْكُ * وَأَحْبَارُ سَوْءٍ وَرُهْبَانُهَا[١]

---

[١] – سير أعلام النبلاء (١ / ٣٧٢)

[٢] – سير أعلام النبلاء (١١ / ٢٨١) .

وعليه فعندما تتأمل كتب التراجم المسندة تجد أسانيدها طافحة بذكر هذه النسبة في حملة الآثار ، ورجال الحديث ، وكل يوضع في الميزان ، والموعد الساعة ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ ﴾ الأعراف: ٨ ، ٩

---

[١] – سير أعلام النبلاء (٢٣ / ٢٠٤) .

الفصل الخامس: شبه الصوفية .

حينما نقف متأملين أمام أي فرقة من الفرق التي تنتسب إلى الإسلام نجد أن من أبرز أسباب انحرافها ، ومن وسائل الشيطان في إغوائها :شبهات عرضت للقوم لم تستطع قلوبهم لها دفعا ، ولم يرزقوا من البصيرة تجاهها منعا .

وإن من هذه الطوائف الزائغة عن الحق ، فرقة الصوفية التي تشربت من الشبهات ما تشربت ، وتضلعت من مستنقعات الشيطان حتى ارتوت

ومما ادعاه الصوفية من الشبه والخيالات :

- زعمهم رؤية سيد البريات محمد ﷺ .

لقد تجرأ بعض الصوفية في ادعاء خروج النبي – ﷺ– من قبره ورؤية مشايخ القوم له يقظة لا مناماً في الحياة الدنيا والتلقي منه، على اختلاف بينهم في كيفية هذه الرؤية [١]

وممن قال بذلك منهم:

ابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الحديثية" والسيوطي في "تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – والملك" ضمن"الحاوي للفتاوي" ، وأبو المواهب الشاذلي كما في "الطبقات الكبرى" للشعراني ، والشعراني كما في "الطبقات الصغرى" ، وأحمد التيجاني وخلفاؤه كما في "رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم"، ومن المتأخرين: خوجلي بن عبد الرحمن بن إبراهيم كما في "طبقات ابن ضيف الله" ، ومحمد بن علوي المالكي في "الذخائر المحمدية" ، ومحمد فؤاد الفرشوطي في "القرب والتهاني في حضرة التداني شرح الصلوات المحمدية للسادة الصوفية"، وغيرهم)

وسوف أنقل رد علماء السنة على هذه البدعة والشبهة المدعاة من غلاة الصوفية الضالين .

أولاً : **ذكر بعض الأدلة التي تثبت عدم إمكانية رؤية النبي – ﷺ – يقظة**

قال الشيخ محمد أحمد لوح :

(من الأدلة على عدم إمكانية رؤية النبي – ﷺ– يقظة أن أموراً عظيمة وقعت لأصحاب رسول الله – ﷺ– وهم أفضل الأمة بعد نبيها كانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين أظهرهم ولم يظهر لهم، نذكر منها:

---

[١] - موسوعة الرد على الصوفية (٢٢٢ / ١) ، وسوف أنقل منها بقية ما يتعلق بهذه الشبهة .

- أنه وقع خلاف بين الصحابة بعد وفاة النبي- ﷺ- بسبب الخلافة، فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم.

- اختلاف أبي بكر الصديق مع فاطمة -رضي الله عنهما -على ميراث أبيها فاحتجت فاطمة عليه بأنه إذا مات هو إنما يرثه أبناؤه فلماذا يمنعها من ميراث أبيها؟ فأجابها أبو بكر بأن النبي - ﷺ- قال: { نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركنا صدقة }[1] .

- الخلاف الشديد الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب وأصحابه -رضي الله عنهم أجمعين- من جهة أخرى، والذي أدى إلى وقوع معركة الجمل، فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين، فلماذا لم يظهر لهم النبي - ﷺ- حتى يحقن هذه الدماء؟

- الخلاف الذي وقع بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- مع الخوارج، وقد سفكت فيه دماء كثيرة، ولو ظهر لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقن تلك الدماء.

- النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- والذي أدى إلى وقوع حرب صفين حيث قتل خلق كثير جداً منهم عمار بن ياسر-رضي الله عنه- فلماذا لم يظهر النبي - ﷺ- حتى تجتمع كلمة المسلمين وتحقن دمائهم .

- أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- على جلالة قدره وعظمة شأنه كان يظهر الحزن على عدم معرفته ببعض المسائل الفقهية فيقول:(ثلاث وددت أن رسول الله - ﷺ- لم يفارقنا حتى يعهد إلينا فيهن عهداً ننتهي إليه: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا)[2] .فلو كان يظهر لأحد بعد موته لظهر لعمر الفاروق وقال له: لا تحزن حكمها كذا وكذا) اهـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :(منهم من يظن أن النبي - ﷺ- خرج من الحجرة وكلمه وجعلوا هذا من كراماته ، ومنهم من يعتقد أنه إذا سأل المقبور أجابه.

وبعضهم كان يحكي : أن ابن منده كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فأجابه، وآخر من أهل المغرب حصل له مثل ذلك وجعل ذلك من كراماته حتى قال ابن عبد البر لمن ظن ذلك: ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار فهل في هؤلاء من سأل النبي - ﷺ- بعد الموت

---

[1] - صحيح البخاري (٤ / ٩٦ح٣٠٩٣) ، و صحيح مسلم (٥ / ١٥٣ح٤٦٧٨) .

[2] - صحيح البخاري (٧ / ١٣٧ح٥٥٨٨) ، صحيح مسلم (٨ / ٢٤٥ح٧٧٤٤) .

وأجابه وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي – ﷺ– فأجابهم، وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثها فهلا سألته فأجابها؟).[١]

وحكاية ابن منده التي أشار إليها ابن تيمية–رحمه الله– في هذا الكلام ذكرها الحافظ الذهبي في "سير أعلام النبلاء" في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحي بن منده وقال الذهبي فيها:(هذه حكاية نكتبها للتعجب)[٢].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز– رحمه الله – في "حكم الاحتفال بالمولد النبوي": (بعضهم يظن أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحضر المولد؛ ولهذا يقومون له محيين ومرحبين، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل، فإن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعاتهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة، كما قال الله تعالى في سورة المؤمنون: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ المؤمنون: ١٥-١٤ [، وقال النبي – ﷺ –:{ أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر. وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر }[٣] عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

- ومن شبه الصوفية **الاستفتاح بصعاليك المهاجرين** .

يستدل الصوفية على جواز التوسل بالذوات بحديث رواه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قال: كان رسول الله يستفتح بصعاليك المهاجرين.[٤]

ومدار هذا الحديث على أبي إسحاق السبيعي ، وهو مشهور بالتدليس ، ولم يصرح بالسماع ممن فوقه في أي من طرق الحديث.

كذلك فإن أبا إسحاق السبيعي قد اختلط بآخرة ، وفي هذا الحديث مرة يرويه عن أمية بن خالد ، ومرة عن المهلب بن أبي صفرة عن أمية بن خالد ، ومرة عن أمية بن عبد الله بن خالد.

---

[١] – مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٠٧) ، موسوعة الرد على الصوفية (٢٢٢ / ٤).

[٢] – سير أعلام النبلاء (٣٣ / ٢٨) ، والمصدر السابق .

[٣] – صحيح البخاري (٣ / ١٥٩)بلفظ "لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى". وسنن الترمذي (٥ / ٣٠٨ح٣١٤٨) موسوعة الرد على الصوفية (٢٢٢ / ٨).

[٤] – رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٩٢.١) والضياء في المختارة (٣٣٧.٤) .

كذلك فإن "أمية بن خالد" لم تثبت صحبته ، فالحديث لو سلم من تدليس واختلاط أبي إسحاق فهو مرسل ، والمرسل من أقسام الحديث الضعيف.

قال ابن عبد البر "رحمه الله" في كتابه "الاستيعاب" في ترجمة أمية بن خالد: لا تصح عندي صحبته، والحديث مرسل.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني "رحمه الله" في كتابه "الإصابة": ليست له صحبة ولا رواية.[١]

ولو صح الحديث فإن معناه مخالف لما يقول به الصوفية ، قال القرطبي "رحمه الله": وفي الحديث كان النبي –ﷺ– يستفتح بصعاليك المهاجرين. أي: يستنصر بدعائهم وصلاتهم.وقال المناوي في شرح الجامع الصغير قوله: يستنصر بصعاليك المسلمين. أي :يطلب النصر بدعاء فقرائهم تيمناً بهم ، .. قال القاري: أي بفقرائهم وببركة دعائهم[٢].

وروى النسائي مرفوعاً: " إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم وإخلاصهم"[٣] فظهر أن الاستنصار إنما يكون بدعاء الصالحين، لا بذواتهم وجاههم.

وشبه الصوفية أكثر من هذا القدر ،وإنما ذكرت هاتين الشبهتين ضرب مثال في مثل هذا البحث المختصر .

---

[١] -الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١ / ٣٤) ، الإصابة في تمييز الصحابة (١ / ٢٤٥).

[٢] - تحفة الأحوذي (٤ / ٣٨٥) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥ / ٢٧٩) .

[٣] - سنن النسائي (٦ / ٤٥ح٣١٧٨)وصححه الألباني ، وفي سنن الترمذي (٤ / ٢٠٦) ، عن أبي الدرداء قال : سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : "آبغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم " قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وقال الشيخ الألباني : صحيح ، وانظر موسوعة الرد على الصوفية (٢٢٢ / ٤) .

الفصل السادس: موقف العلماء من التصوف .

لقد اختلفت مواقف العلماء تجاه المعتقد الصوفي إلى ثلاث طوائف ذكرها الإمام ابن القيم – رحمه الله – والطائفة التي قوى رأيه تجاهها ، فقال :

١- طائفة من الناس نظرت إلى مساوئ القوم وأغمضت العيون عن محاسنها فقالوا بضلال الصوفية وردوا كلامهم سواءً ما وافق الكتاب والسنة أو خالفهما وهذه الطائفة كما يقول ابن القيم: (حجبت عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بهم).

٢- وطائفة أخرى نظرت إلى محاسن القوم وصدق معاملتهم وشفافية نفوسهم وحسن عبادتهم فأقبلت على علوم الصوفية وكتبهم وقصائدهم وقصصهم دون تمحيصٍ، مغمضة العيون عن عيوب القوم ومساوئهم، وهؤلاء كما يقول ابن القيم:(حجبوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم عن رؤية شطحاتهم).

٣- وطائفة ثالثة وهم كما يسميهم ابن القيم أهل العدل والإنصاف الذين يقبلون من القوم ما يجدونه حسناً موافقاً للكتاب والسنة ويردون ما خالف الكتاب والسنة ويردون على شطحات القوم ، **وهذا الموقف هو الذي يجب أن يقفه كل مسلم** ،فلا تحملنا حسنات القوم على قبول خطئهم وتحسينه. كما يجب أن لا تحملنا سيئات القوم على رد حق ذهبوا إليه أو قالوا به، بل الحكم العدل الذي بيننا هو الكتاب والسنة **قَالَ تَعَالَىٰ**:

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل العدل والإنصاف المتمسكين بكتاب ربهم وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.[١]

---

[١] - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٣٩) ، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي (١ / ٢٨-٢٩) .

الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله أهل الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على خير الأنام وسيد الأنبياء ، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه البررة الأتقياء ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فها هي خاتمة هذا البحث المختصر فيما يتعلق ببدعة التصوف ، وبيان حال الصوفية، وقد قضيت في إعداده الأيام والساعات ، حتى تم بناؤه على هذه الهيئة .

وإن واضع حجر أساسه ، ومنشئ الفكرة صاحب السعادة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور موفق بن عبد الله – حفظه الله ورعاه- والذي تشرفنا بتدريسه لنا في السنة المنهجية من مرحلة الدكتوراه في مادة [دفاع عن السنة] وإلى أهم النتائج والتوصيات :

١- أن مفهوم التصوف مفهوم قديم ، وقد ظهر في القرون المفضلة منها.

٢- لم تكن البدعة الصوفية عند المتصوفة المتقدمين بمفهومها عند المتأخرين منهم .

٣- أن الغالب في متصوفة المتقدمين ، كان مفهوم التصوف عندهم ، هو الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة .

٤- هناك علاقة قوية بين الصوفية والشيعة حتى في أصولهم الإعتقادية ، وإن اختلفت بينهم بعض مظاهرها .

٥- ظهر للباحث أن كبار الصوفية الغالين ، من غير العرق العربي ، فكأنهم فرس دخلاء على المجتمع الإسلامي ؛ لأجل الطعن فيه بطريقة ظاهرها العبادة ، وباطنها الفساد والإبادة .

ولذا **أوصي** بدراسة هذه البدعة وفهم طرقها الزائفة الزائغة عن الحق ؛ لأجل تحذير المجتمع من كيدهم وشرهم .

والله أعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

فهرست المصادر

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر .

٢. الإصابة في تمييز الصحابة ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق علي بن محمد البجاوي ، ط الأولى ١٤١٢هـ ، دار الجيل بيروت .

٣. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، ناصر بن

٤. أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ، جمع وترتيب مصطفى محمد مصطفى.

٥. الاعتصام ، العلامة إبراهيم بن موسى الشاطبي .

٦. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات ، مرعي بن يوسف الكرمي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط الأولى ١٤٠٦ هـ ، الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت .

٧. بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي .

٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري .

٩. التصوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير .

١٠. تفسير ابن كثير ، تحقيق سامي السلامة ، ط الثانية ١٤٢٠هـ ، دار طيبة للنشر والتوزيع .

١١. تلبيس إبليس ، أبو الفرج ابن الجوزي . ط الأولى ١٤٢١هـ ، دار الفكر بيروت– لبنان .

١٢. الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها . عبد المحسن بن حمد العباد .

١٣. حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصبهاني ، ط الرابعة ١٤٠٥هـ .دار الكتاب العربي . بيروت .

١٤. دراسات في التصوف والفلسفة ، د صالح الرقب ، د محمود الشوبكي ، الجامعة الإسلامية ، ط الأولى ١٤٢٧هـ .

١٥. الروح ، محمد بن أبي بكر بن القيم ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٥هـ .

١٦. سنن ابن ماجه .كتب حواشيه محمود خليل . الناشر مكتبة أبي المعاطي .

١٧. سنن أبي داود . بتعليق الألباني . دار الكتاب العربي – بيروت .

١٨. سنن الترمذي . أبو عيسى الترمذي . تحقيق أحمد شاكر وآخرون . دار إحياء التراث .

١٩. سير أعلام النبلاء . الإمام الذهبي . تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط .الناشر مؤسسة الرسالة .

٢٠. شرح الفتوى الحموية ، حمد بن عبد المحسن التويجري .

٢١. صحيح البخاري . الإمام البخاري .ط الأولى.دار الشعب القاهرة .

٢٢. صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج . دار الجيل بيروت ، دار الآفاق الجديدة. بيروت . عبد الله الغفاري .

٢٣. عوارف المعارف ، لأبي حفص عمر بن محمد السهروردي .

٢٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري . ابن حجر . الأولى ١٣٧٩هـ دار المعرفة – بيروت .

٢٥. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، حققه وعلق عليه علي بن نايف الشحود .

٢٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير ، محمد بن عبد الرحمن المناوي ، ط الأولى ١٤١٥هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٧. مجموع فتاوى ابن تيمية ، الإمام ابن تيمية ، تحقيق أنور الباز ، عامر الجزار ، ط الثالثة ١٤٢٦هـ ، الناشر دار الوفاء .

٢٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، أبو عبد الله بن القيم ، تحقيق محمد بن حامد فقي ، ط الثانية ١٣٩٣هـ ، دار الكتاب العربي – بيروت .

٢٩. المستدرك على الصحيحين ، للحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط الأولى ١٤١١هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٣٠. مصرع التصوف ، إبراهيم بن عمر البقاعي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، الناشر عباس الباز – مكة المكرمة .

٣١. مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، د محمود بن يوسف الشوبكي .

٣٢. موسوعة الرد على الصوفية ، مجموعة من العلماء .

٣٣. سنن النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، ط الثانية ١٤٠٦هـ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب .

٣٤. نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، محمد بن علي الحكيم الترمذي ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، سنة النشر ١٩٩٢م ، دار الجيل – بيروت .